الخطاب النبوي

لغير البالغين



الخطاب النبوي
لغير البالغين

سرور فرحان الشرمان



الطبعة الأولى

١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

٢٣٩

الشرمان، سرور

الخطاب النبوي لغير البالغين/ سرور فرحان الشرمان. - عمان: دار المأمون، ٢٠٠٩ .

(١٧٢) ص.

ر.أ: (٥٠٠٠/١١/ ٢٠٠٩).

الواصفات: /السيرة النبوية//الإسلام//المجتمع الإسلامي//

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه "أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق.



دار المأمون للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس

تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧

ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن

E- mail: daralmamoun@maktoob.com

الإهداء

إلى نور قلبي وحبيبي محمّد ﷺ خير

من فهم الطّفولة وخاطبها

ثمّ....

إلى روح أبي الطّاهرة

وإلى أمّي الغالية

إلى إخوتي وأخواتي جميعاً

إلى زوجتي المتفانية

وأبنائي وبناتي

إلى كلّ محبٍّ للعلم والعلماء

أهدي هذا الجهد المتواضع

فهرس المحتويات

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

لقد أهداني الأخ الكريم الأستاذ سرور فرحان الشرمان نسخة من دراسته القيمة بعنوان "الخطاب النبوي لغير البالغين" والتي نال عليها درجة الماجستير في الحديث النبوي الشريف من جامعة آل البيت في المفرق قبل بضعة شهور فاطلعت عليها ووجدت فيها بحثاً قيماً جديداً يوضح الأسلوب والتوجيه والخطاب النبوي في تربية الأطفال لمرحلتي الطفولة المبكرة والطفولة المتأخرة حيث استقصى الأخ الكريم الأحاديث المتعلقة بالمرحلتين فجمعها وراجعها وخرجها وشرحها وفقاً لشراح الأحاديث وبما يخدم النص من القرآن الكريم وأقوال العلماء والمربين كما أوضح طريقة البحث والدراسة المنهجية في مقدمة هذا الكتاب فجزاه الله خير الجزاء.

ونظراً لأهمية هذه الدراسة المنهجية وما ورد فيها من أحاديث وشروحات تقدم نماذج تطبيقية للأسلوب النبوي في التعامل مع الأطفال من حيث دور الوالدين والمربين في التوجيه والصبر. كما تبرز أهمية التربية للناشئين لتكوين شخصيات الأطفال وإعدادهم للمجتمع ليكونوا جيل المستقبل من أجل ذلك رأى مكتب الهيئة طباعة ونشر هذه الدراسة في كتاب ليكون مرشداً ودليلاً بين أيدي الآباء والقراء والمربين والمشرفين في مراكز الأيتام ورياض الأطفال والجميعات الخيرية والتربوية وبذلك نحقق هدفاً من أهداف الهيئة في تربية الأطفال والأيتام ونشر وتجديد توجيهات الإسلام في مجتمعنا الإسلامي.

ويسعد مكتب الهيئة في الأردن نشر هذا الكتاب وتوزيعه هدية ليكون مساهمة تربوية على الطريق لإنشاء الجيل وتنمية المجتمع سائلين الله عز وجل أن يجزي المؤلف الكريم خير الجزاء على جهوده وإخراجه لهذه الدراسة في هذا الكتاب، والله من وراء القصد.

المشرف العام على مكتب الهيئة بالأردن

خليل محمد حمد

المقدّمة

بسم الله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الذي اصطفى، محمَّد_ ﷺ_ وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين. وبعد:

إنّ تناول موضوع الخطاب النَّبوي لغير البالغين،وتسليط الضوء عليه، يساهمَّ في إعادة حيويَة الأمَّة الإسلاميَة، وريادتها، وشهادتها على الأمم الاخرى﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(1)، كما ويساهمَّ في إنشاء جيل إسلاميّ فريد، يقوم بمهمَة الاستخلاف في الأرض، وفق ما أراد الله عزَّ وجلّ.

وتحاول هذه الدِّراسة فهم الأسلوب النَّبوي في تربية النَّاشئة،والاقتداء بالرَّسول - ﷺ - واقتفاء أثره، وبذلك نستطيع توجيه الجيل على نور من الله تعالى، وهدي من رسوله الكريم ﷺ.

ولقد تناولت هذه الدِّراسة الأحاديث المتعلّقة بالخطاب النَّبوي، لمرحلتيّ ما قبل التَّمييز(الطُّفولة المبكّرة) والتَّمييز (الطُّفولة المتأخّرة)؛ لأن معالم الشخصيَّة الإنسانيَّة ترتكز عليهما، وما بعدهما يكون تبعاً لهما.

وتناولت الدِّراسة في الفصل الأوَّل مفهوم الخطاب النَّبوي، وأهمِّيَّته من حيث حاجة الطُّفولة اليوم للخطاب المناسب.

وتناولت الدِّراسة في الفصل الثَّاني، مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكّرة)، وسماتها، وما هو الأسلوب النَّبوي في التَعامل مع هذه المرحلة.

وأخيراً تناولت الدِّراسة في الفصل الثَّالث: مرحلة التَّمييز (الطُّفولة المتأخّرة)، وأبرز السِّمات، والأسلوب النَّبوي في التَعامل مع المرحلة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ موضوع الخطاب النَّبوي لغير البالغين موضوع جديد في بابه، وخاصَّة أنَّ المؤلّفين السابقين، كانوا يصنّفون الأحاديث على أنها عامّة لكلّ الأطفال في جميع المراحل، وهذا بحدّ ذاته، بحاجة إلى مراجعة وتوظيف من جديد؛ لكي يتخصَّص خطاب كلّ مرحلة على حده من جهة، ونظراً للفروق الجسميَّة والعقليَّة بيَن الأطفال في المرحلتين من جهة أخرى. ولا يفوتني هنا من تسجيل شكري وعرفاني للمشرف على الدراسة الدكتور علي عجين واعضاء لجنة المناقشة الكرام ولمساهماتهم في إثراء هذا البحث.

سائلا المولى عزَّ وجلّ الرّضى والقبول والاخلاص في القول والعمل، وأن يكون تبيانا لمنهج نبيّه المربّي الأوَّل، خير من خاطب النَّاس جميعا، فكان منارة يُهتدى بها في تربية الصّغار، كما كان منهاجا لتهذيب الكبار على حدّ سواء.

---

(١) سورة البقرة، الآية،(١٤٣)

أهمِّيَّة الدِّراسة:

تتمَّيّز أهمِّيَّة هذه الدِّراسة في كونها تبحث في موضوع الخطاب النَّبوي الموجَّه لغير البالغين، وهما مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكّرة)، ومرحلة التَّمييز (الطُّفولة المتأخّرة)، وتحاول أن تبرزهما وتربطهما، ليشكلا وحدة موضوعيَّة واحدة.

ويحاول الباحث استقصاء الأحاديث النَّبوية المتعلقة بالخطاب للمرحلتين المذكورتين، وتصنيفهما. كما وجَّهت هذه الدِّراسة مدى اهتمام وعناية الأحاديث بهذه المراحل المهمة من عمر الإنسان، لا سيَّما وأنَّ معظم المدارس تركز وبكثرة على تلك الفئات من خلال المناهج الدراسية الحديثة.

وبما أنّ الخالق سبحانه وتعالى خلق الخلق، ويعلم ما يناسب المراحل العمريَّة كلّها من خطاب، فحريّ بنا أن نتلقّى هذا المنهج، ونفهمه وفق ما أراد الله سبحانه وتعالى على لسان نبيّه الكريم ﷺ.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد تمَّ بحمد الله اختيار هذا الموضوع نظرا لأهمِّيَّته في ميادين التّربية، والحياة العمليَّة، وللضَّرورة الملحَّة التي يتطلَّبها حال المسلَّمين اليوم.

وأهمَّ الأسباب لاختيار الموضوع هي:

١- أهمِّيَّة التّربية النَّبوية للنّشء، وضرورة فهم الخطاب النَّبوي لتلك الفئة.

٢- من خلال الاستقراء، لم تظهر دراسة شاملة مستوعبة لأحاديث الخطاب وطبيعته لتلك الفئة المستهدفة من هذه الدِّراسة.

٣- العمل على إبراز أحد موضوعات السنَّة النَّبوية، وخدمة أحاديث الرَّسول ﷺ.

٤- الرَّغبة في توجيه نظر الباحثين والدَارسين لأهمِّيَّة البحث في التّربية، وعلم النَّفس، والمراحل العمريَّة للإنسان، ومحاولة فهمها وفق ما أراد الخالق عزَّ وجلّ ونبيّه الكريم ﷺ.

مشكلّة الدِّراسة:

يفاخر بعض المبهورين في الحضارة الغربيَّة بمنهجهم في تربية الأطفال وإعدادهم للناشئة، وتراهمَ يقلّدونهم في تربيتهم، والتي في كثير منها لاتتوافق مع أبناء المسلمين، غير ملتفتين للمنهج النَّبوي في التّربية، مبتعدين بذلك عن المنابع الصّافية، والإرث الحضاريّ الكبيرالذي تزخر به السنَّة النَّبوية، وهذا بحدِّ ذاته يمثّل إشكاليّة واقعيّة رئيسيّة. وتحاول هذه الدِّراسة أن تجيب عن إشكاليَّات ثانوية أخرى، وهي:

أ – ما منهج السنَّة النَّبويّة في خطاب تلك الفئة؟

ب – كيف عنيت السنَّة النَّبوية بتربية تلك الفئة من المراحل العمريَّة من خلال استقراء الأحاديث النَّبوية الشّريفة؟

ج – ما مدى اهتمام السنَّة النَّبوية بهذا الموضوع ؟

أهداف الدِّراسة :

لقد اشتملت هذه الدِّراسة على مجموعة من الأهداف التَّربويَّة، وهي:

أ ـ الأهداف المعرفيَّة:

١- بيان الخطاب النَّبوي، وربطه بالتّربية المعاصرة.

٢- العمل على إبراز أهمِّيَّة التّربية للنّاشئة، وأثرها على الأمَّة في حاضرها ومستقبلها.

ب ـ الأهداف المسلكية:

١- العمل علي رفع مستوى اهتمام المربيِّن بكيفيّة التَّنشئة السَّليمة للأجيال وفق المنهج النَّبوي الشّريف في التّربية.

٢- العمل على تقديم نماذج تطبيقيّة للأسلوب النَّبوي في تعامل النَّبيّ - ﷺ- مع الأطفال.

ج ـ الأهداف النفسيَّة:

١- الاهتمام بالفئة الضّعيفة وهي فئة الأيتام، وتبيان المنهج السّليم في التَّعامل معهم.

٢- الصّبر على تربية الأطفال، واحترام ذات الطُّفولة.

د ـ الأهداف النّمائيَّة:

١- العمل على إظهار الدَّور الهامّ للوالدين، النظريّ والعمليّ، في رعاية مراحل الطُّفولة وتطوُّرها في ضوء السّنَّة النَّبوية المطهَّرة.

٢- تصنيف وإبراز سمات مراحل النموّ لمرحلتيّ ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكّرة) و التَّمييز (الطُّفولة المتأخّرة).

هـ ـ الأهداف الاجتماعيّة:

١- رسم صورة واضحة عن الأسرة زمن النَّبيّ- ﷺ- وهي النُّواة الأولى الهامَّة التي كوَّنت شخصيَّة الطِّفل، وأعدَّته لمجتمَعه وأمَّته.

٢- بيان مدى تأثُّر شخصيَّة الطِّفل بالبيئة الاجتمَّاعيَة المحيطة به من حوله، حيث تشكلّ البيئة الاجتمَّاعيَة المحيطة والعوامل الوراثيَة شخصيَّة الطِّفل.

منهجيَّة البحث:

سيتمَّ تناول موضوع الدِّراسة وفق الآتي:

المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع الأحاديث المتعلّقة بخطاب غير البالغين.

شرح وتحليل بعض الأحاديث وفق ما يقتضيه السياق، راجعاً إلى كتب شروح الأحاديث، وشرحها بما يخدم النَصّ من القرآن الكريم وأقوال العلماء والمربيِّن، وهذا ما يسمَى بالمنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يصف ما هو كائن، ويفسّره، ويعمل على تحديد العلاقات بين الوقائع المختلفة، والمقارنة مع الوصف بالتَحليل.

١) استنباط القيم والتَوجيهات من هذه النصوص، وربطها بالواقع الحالي الذي تعيشه الأمَّة الآن.

٢) وكانت منهجيَة الباحث في الرّسالة على النَحو الآتي:

- **تخريج الأحاديث من مصادر التخريج باستيعاب غالبية المصادر.**

- **تمَّ تخريج رواية الحديث لصاحب الرواية الموجودة في النص أولا، مع إيراد السَّند كاملا في الحاشية، ثمَّ ايراد كلمة (وذكره) لتدلّ على أنه قد تمَّ ذكره في مصنفه، كما هو وارد في النّص أعلى الصفحة، وفي الإحالات الأخرى اللاحقة ايراد كلمة (وذكره) أي في مصنفه بنفس اللفظ السابق، وإذا اختلف اللفظ، فقد تمَّ ذكراللَفظة المختلفة من الحديث.**

- **قام الباحث بذكر اسم صاحب الكتاب، ثمَّ ذكر المصدر، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث ويرمز له (ح رقم)، واذا تمَّ تخريج الحديث من الكتب الستَّة، فقد تمَّ ذكر الكتاب والباب.**

- **يقدّم الباحث الرّواية الأصحّ والأنسب لجوِّ النصِّ من بين الروايات مقدّما الكتب التّسعة، فإن لم يجد ذهب إلى المصادر الأخرى.**

- **إذا كان مدار الرّوايات على راو واحد، تمَّ تجميعها حسب الترتيب الزمني لوفاة صاحب المصدر باختصارالسَّند لروايات المدار نفسه، لكن قد نضطر إلى عدم التقيُّد بالترتيب الزمني إذا كان الحديث في الصحيحين تم تقديمهما على سواهما، وإذا تعددت الطرق للحديث، ويتمَّ فقط الترتيب الزمني للطريق الواحد، ثمَّ يذكر وكلاهما، وثلاثتهم، وأربعتهم، وبعدها يُذكر الراوي بالقول من طريق فلان؛ وذلك من أجل تحاشي التّطويل والتّكرار.**

- **تمَّ الاعتمَّاد في الترجمة علي كتاب تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلأني؛ وذلك للحكم على الرجال، لتأخّره عن غيره، وإحاطته واختصاره في الحكم، أمَّا إذا اضطرّ الأمر إلى الاستيعاب والاستقصاء، تمَّ الرجوع إلى كتب التراجم الأخرى.**

- **إذا تمَّ تخريج الحديث من الصّحيحين، فلا يُحكم على الحديث؛ لأنهما لم يخرّجا إلا**

الصحيح، وإذا تمَّ تخريجه ممّا سواهما، تمَّت دراسة الإسناد والحكم عليه.

- عند الحكم على الحديث، يُنظر اليه، فإذا حكم عليه أحد من العلماء الحفّاظ السَّابقين، كالتِّرمذي، والحاكم، والعراقيّ،والهيثمي، وابن حجر، وغيرهم، تمَّ إيراد الحكم والأخذ به، وإذا وجد الاختلاف بينهم، تمَّ بسط ذلك أيضا، ثمَّ تتمَّ دراسة الإسناد والتوسّع في ترجمة الرّاوي غير الثقة، أما الثقات يُشار إليهم بالقول كلهم ثقات، وبعدها يحكم على السَّند، كالقول اسناده صحيح او حسن...

- عند شرح الأحاديث، ودراسة المرويّات، والطُرق المختلفة للحديث الواحد، يتمَّ استقصاء المرويَّات، والتوسُّع فيها، وذكر الألفاظ المختلفة للاحاديث لفائدة تربويَّة يتمَّ التقاطها، وإذا لم تتعدَد الألفاظ بتعدُّد الطُرق والمرويَات، تمَّ الاختصار.

- لقد تناول الباحث في بحثه الخطاب النَّبوي المباشر الموجَّه للأطفال، ولم يتمَّ تناول الخطاب النَّبوي غير المباشر، والذي وجَّهه النَّبيّ _ ﷺ_ لأولياء الأمور لتربية أبناءهم.

- لم يعثر الباحث على خطاب نبويّ لفترة الحضانة إلا في ثلاثة مواضع تمَّ إدراجها في التمَّهيد لمرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكرة)، على اعتبار أنَّها من فئة غير البالغين.

- قام الباحث بشرح الأحاديث او ما له صلة بالبحث من كتب الشروح، وبعض الألفاظ من المعاجم، ثمَّ بعدها يتمّ نقل بعض أقوال العلماء المعاصرين التي تخدم النَصّ.

- لقد اعتمد في البحث توثيق المصادر والمراجع وفق الأصول العلميَة المعتمدة.

سرور فرحان الشرمان

الفصل الأوَّل (التمهيدي)

المبحث الأول

مفهوم الخطاب النَّبويّ لغير البالغين.

المطلب الأوَّل: مفهوم الخطاب وأركانه

الفرع الأوَّل: مفهوم الخطاب

الخطاب: مصدر الفعل الثلاثي خَطَبَ، والخَطْبُ في اللّغة: سبب الأمر، والخطاب مراجعة الكلام(٢)، وقيل الخطبْ: الأمر، والخطاب كل كلام بينك وبين آخر(٣)، وقيل الخَطبْ: الشأن والأمر، صغُر أو عَظُم(٤).

وذُكر بأنّ الخطاب: الكلام، والخطاب الرسالة(٥)، والخطاب: ما يكلّم به الرّجل صاحبه(٦)، والخطاب: ما يوجّهه الإنسان لغيره من كلام(٧).

الخطاب هو: الكلام(٨)، وقيل: أصل الخطبة من الخطاب الذي هو الكلام، وخطب خطبة أي خاطب الزَّجر والوعظ، والخطْب هو: الأمر العظيم؛ لأنه يحتاج إلى خطاب كثير (٩)، وذكر بأنّه: البيان الشّافي في كلّ مقصد: أي المنبّه للمخاطب من غير التباس لما قد روعي فيه مظان(١٠).

وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن في ستَّة مواضع، في (سورة هود الآية ٣٧، وسورة المؤمنون الآية ٢٧، وسورة الفرقان الآية ٦٣، وسورة ص في موضعين ٢٠و ٢٣، وسورة النبأ الآية ٣٧).

وذكره البخاري في كتابه الجامع الصَّحيح في الخطاب: يقال المحاوره(١١).

وقال ابن حجر: فمراده تفسير الخطاب بالمحاورة، بالحاء المهملة، أي المراجعة بين

([٢]) الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، ج٤، دار مكتبة الهلال، ص ٢٢٢.

([٣]) أحمد بن فارس، (ت٣٩٥)، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ج٢، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٩٥.

([٤]) محمد الفيروز أبادي(ت ٨١٧)، القاموس المحيط، ج٢، ط١، دار الكتب، بيروت،ص ١٤٤.

([٥]) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، دار الدعوة، استانبول، ص ٢٤٢.

([٦]) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٠٧.

([٧]) أديب اللّجمي، معجم اللغة العربية، ج٢، ط٢، دار المحيط، بيروت، ١٩٩٤، ص ٥١٧.

([٨]) محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأوي القرآن، ج٢٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص١٤٤.

(٩) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، ج٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص١١١.

(١٠) سليمان بن عمر الجمل، (ت ١٢٠٤هـ)، الفتوحات الإلهية، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٧٧.

([١١]) محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق مصطفى ديب البغا، ج٣، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٧م، ص ١٢٥٧.وهي بلفظ البخاري.

الخصمين(١٢)، وقال أبو عبيده: يحاوره من المحاوره، أي بكلمة(١٣)، وهو أحد وجوه الخطاب.

وقيل هو: الكلام الذي يفهم منه المستمع شيئاً(١٤).

ويقال عنه: اللّفظ المتعارف عليه، المقصود به إفهام من هو متهيّئ لفهمه(١٥).

وكذلك قال الجرجاني عن الخطابة: هي قياس مركّب من مقدّمات مقبولة أو مظنونه من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعل الخطباء والوعَّاظ(١٦).

وبناء على ماسبق، يكون معنى الخطاب: هو حوار يجري بين اثنين، أو إيصال معلومة من طرف، وإقناع الطّرف الآخر به، بأسلوب تعليميّ مباشر، يهدف إلى إحداث سلوك مرغوب فيه.

الفرع الثَّاني: أركان الخطاب.

الركن الأوَّل: المخاطِب، أو الخاطِب، أو الناصّ، أو الباثّ، أوهو الذي يبلغ غيره، أو يرسل المعلومة لغيره، قال: خطب الخاطِب على المنبر(١٧)..

الركن الثَّاني: هو المُخاطَب، أو المستقبل، أو المتلقي، أو من تصل إليه المعلومة، لفهم ما يريد الخاطِب أو المُخاطِب.

الركن الثَّالث: الخطاب هو: القول، أو الرّسالة، أو النصّ الذي يفهم المُخَاطَبُ به شيئاً(١٨).

الركن الرَّابع: أسلوب توصيل الخطاب، والأسلوب بالضمّ: هو الطّريق والفنّ(١٩) لتوصيل المخاطِب الموضوع للمخاطَب.

ونضرب مثالا على ذلك، من خلال حديث عمر بن أبي سلمة _رضي الله عنه_ قال: ((كنت غلاماً(٢٠) في حجر رسول الله - ﷺ- وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي

---

(١٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب ج٦، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ص ٤٥٧.

(١٣) المصدر السابق، ج٨، ص ٤٠٨.

(١٤) يوسف بن عبد الرحمن الجوزي، (ت ٦٥٦هـ)، الإيضاح لقوانين الإصطلاح، تحقيق فهد السرحان، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩١م، ص ٢٥.

(١٥) أيوب بن موسى الكفوي،(ت١٠٩٤هـ)، الكليات، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢، ص٤١٩.

(١٦) علي محمد الجرجاني، (ت ٨١٦ هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٩٩.

(١٧)انظر، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٣٦٠.

(١٨)أنظر محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعارف، تحقيق محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ، ص ٣١٦.

(١٩) أنظر محمد عبد الرعوف المناوي، التوقيف على مهمات التعارف، ص ٤١١.

(١) ربيب رسول الله ﷺ، أمه أم سلمة المخزومية أم المؤمنين، يكنى أبا حفص، ولد في السنة الثَّانية من الهجرة بأرض الحبشة، وقيل إنه كان يوم قبض رسول_ الله ﷺ_ ابن تسع سنين، يوسف ابن عبد البر

رسول الله - ﷺ-: ياغلام، سمِّ الله وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد)) [٢١].

فالمخاطِب الرسول - ﷺ-، والمخاطَب الغلام، وهو عمر بن أبي سلمة، والخطاب هو قول الرسول - ﷺ-، والأسلوب: التعليم المباشر من خلال التّطبيق العمليّ على المائدة.

المطلب الثَّاني: مفهوم غير البالغين.

والبلوغ: هو بلوغ الشيء وإدراكه[٢٢].

وبلغ الغلام: إحتلم كأنّه بلغ وقت الكتابة عليه والتكليف، وكذلك بلغت الجارية، وبلغ الصَّبيّ والجارية إذا أدركا[٢٣].

وأصل البلوغ هو: الوصول، من بلغ يبلغ بلوغاً[٢٤].

وقال الجمهور من العلماء: البلوغ في الغلام تاره يكون بالحلم، وهو ما ينزل به الماء الدَّافق الذي يكون منه الولد، أو ليستكمل خمس عشرة سنة[٢٥].

وفي تقدير سن البلوغ بخمس عشرة سنة، إمَّا على وجه القطع والتَّحديد، أو على وجه التَّقريب[٢٦]. وأوضح ابن العربيّ بأنّ البلوغ يكون بوجهين أحدهما السِّنّ، والثّاني الاحتلام[٢٧].

ولقد بوَّب البخاريّ[٢٨] (في صحيحه باباً سمَّاه باب بلوغ الصَّبيّان وشهادتهم، وقال فيه

القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٣٥٩. وقال ابن حجر فيه، بل الصواب أنّه ولد قبل ذلك فقد صحّ في حديث عبد الله بن الزّبير أنّه قال: كنت أنا وعمر بن أبي سلمة مع النّسوة في الخندق، وكان أكبر مني بسنتين، ومولد ابن الزبير في السنة الأولى على الصحيح، فيكون مولد عمر قبل الهجرة بسنتين، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري،، ج٩، ص ٥٢١.

[٢] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ج٥، ص ٢٠٥٦، ح، رقم ٥٠٦، قال: حدثنا علي بن عبد الله، أخبرنا سفيان، قال الوليد بن كثيرأخبرني أنه سمع وهب بن كيسان أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول وذكره.

وأخرجه مسلم، (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبدالباقي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج٣، ص ١٥٩٩، ح رقم ٢٠٢٢.٦ من طريق أبي نعيم وهب بن كيسان عن عمر بن أبي سلمة.

وأخرجه الترمذي، (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ج٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، كتاب الأطعمة، باب جاء في التسمية على الطعام، ج٤، ص ٢٨٨، ح رقم ١٨٥٧، بلفظ قال: أنّه دخل على رسول الله- ﷺ- وعنده طعام، قال أدن بابني وسم ّالله.. من طريق هشام بن عروه عن أبيه عنه.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج٨، ص ٤٠٠.

[٢٣] ابن منظور، (ت ٧١١، هـ)، لسان العرب، ج٥، ط٢،دار صادر، بيروت، ١٩٩٠، ص ٤١٩.

[٢٤] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت، ٦٧١)، الجامع لأحكام القرآن، ج٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٧٢هـ، ٣٠٤.

[٢٥] أنظر اسماعيل ابن كثير، (ت، ٧٧٤) تفسير القرآن العظيم، ج١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ص ٦٠٠.

[٢٦] يحيى بن شرف النووي، (ت، ٦٧٦)، الأصول والضّوابط، تحقيق محمد حسن هيتو، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ، ص ٣٦.

[٢٧] أبو بكر بن العربي المالكي، (ت، ٥٤٣)، المحصول في أصول الفقه، تحقيق حسين علي البدري، ط١، دار البيارق، الأردن، ١٤٢٠هـ - ص ٢٣.

[٢٨] البخاري، صحيح البخاري، ج٢، ص ٩٤٧.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ ....﴾[٢٩]، وقال مغيرة: احتلمت وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، وبلوغ النساء في المحيض لقوله عزّوجلّ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾[٣٠].

وقال أبو عيسى الترمذي[٣١] (وسفيان الثوري وابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق أنّ الغلام إذا استكمل خمس عشرة سنة فحكمه حكم الرِّجال، وإن احتلم قبل خمس عشرة سنة فحكمه حكم الرِّجال).

ويُعرف من العنوان، أنَّ كلمة (البالغين) ذكرت في البحث، لتجتنب وتستثنى بلفظة (لغير) فتكون مشتملة على جميع ما دون فئة البالغين.

المطلب الثَّالث: مفهوم الخطاب النَّبويّ لغير البالغين، وضوابطه.

الفرع الأوَّل: مفهوم الخطاب النَّبويّ لغير البالغين.

وبما أنَّ الخطاب يتعلق بغير البالغ، ومن مجمل ما استقرأناه من الأقوال السابقة، يتبيَّن بأنَّ الخطاب النَّبويّ لغير البالغين: هو عبارة عن نهج النَّبيّ - ﷺ- في إيصال كلام لغير البالغ، يفهمه وينتفع به ويدركه، سواءً باللفظ المفرد، أو بالألفاظ المركبة،أوبالمحاورة بين الطرفين، المقرون بالفعل والإشارة والحركة، من خلال مجمل الأساليب وتطبيقاتها بالوسائل التعليمية المباشرة، وذلك من أجل إحداث سلوك مرغوب فيه.

الفرع الثَّاني:الضَّوابط على التَّعريف.

وعليه، فتكون الضَّوابط على التَّعريف ما يلي:

١. يدخل في التعريف أقوال النَّبيّ - ﷺ- لغير البالغ، ولا تدخل فيه الأقوال الموجهة لولي الأمر، كون ولي الأمر بالغاً.

٢. يدخل في التَّعريف، الأفعال المقترنة بالاقوال والموجهة لمرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة) ومرحلة التَّمييز (الطُّفولة المتأخِّرة).

٣. يخرج بقيد (لغير البالغين) مرحلة الحضانة؛ لأنَّ التوجيهات النَّبويّة في مرحلة الحضانة كانت تركِّز على أولياء الأمور وما يفعلونه تجاه الصَّبيّان، وهو خطاب مباشر للبالغين، وليس خطاب مباشر موجَّه للصِّبيان إلا في ثلاثة مواضع محدَّدة تمّ تضمينها في مرحلة ما قبل التمييز، كان الخطاب المباشر لمن هم في مرحلة الحضانة.

٤. يدخل في التَّعريف، الأساليب والوسائل التي انتهجها النَّبيّ -ﷺ- من مزاح، ولعب مع الأطفال، مقرونة بالأقوال؛ لأنَّ معظم التَّربية، وخصوصاً مع ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة)، تكون من خلال مواقف لعب مختلفة.

---

(٢٩) سورة النور، الآية (٥٩).

(٣٠) سورة الطلاق، الآية (٤).

(٣١)أنظر، الترمذي، سنن الترمذي، ج٣، ص ٦٤١.

٥. يخرج بقيد (لغير البالغين) أيضا مرحلة المراهقة وما بعدها، كون الدراسة تشمل غير البالغين فقط.

٦. يخرج بقيد (الخطاب النَّبويّ) أقوال وأفعال الصحابة- رضوان الله عليهم-ما لم يكن بحكم المرفوع منها.

المطلب الرَّابع: الألفاظ ذات الصِّلة بغير البالغين.

وحتَّى يستطيع الباحث ضبط الألفاظ بالبحث، وحتى لا تُترك مفردات البحث دون إحاطة، لا بدَّ من استيعاب الألفاظ المتعلقة بغير البالغين، وهي مايلي:

أوّلاً: الصَّبيّ: والصَّبيّ من لدن يولد إلى أن يُفطم، والجمع أَصبية وصَبْوة وصِبيه وصَبوان وصِبيان، والصَّبيّ: الغلام، والجارية، وصبيّة والجمع صبايا(٣٢).

والصَّبيّ: من لم يبلغ الحلم، ورجل مصب: ذو صبيان(٣٣).

قال تعالى: ﴿قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٣٤].

وقيل: الصَّبيّ: الصغير دون الغلام، أو من لم يفطم بعد[٣٥].

«وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه- أنَّه مرَّ صبيان، فسلَّم عليهم وقال: كان النَّبيّ- ﷺ- يفعله» [٣٦].

ووجه الدَّلالة من الحديث، السَّلام على الصِّبيان، ولا يكون ذلك إلا بعد الفطام، بحيث يتسنّى للصَّبيّ الردّ على السّلام؛ لكنّ الآية السَّابقة أشارت إلى استحالة الكلام مع الصَّبيّ، والجواب من نفس الآية أنّها مقيّدة بالمهد، وهي ما تعرف بالحضانة أو الرّضاع. ولذلك يمكن الذّهاب الى القول أنها لفظة عامّة، تشمل مراحل ماقبل البلوغ جميعها.

ثانيا: الطِّفل: والطِّفل والطِّفلة: الصّغيران، والطِّفل الصغير من كلّ شيء بيّن، والصَّبيّ يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمّه إلى أن يحتلم، ويكون الطِّفل واحداً وجمعاً، ويقال طفل وطفلة، وطفلان وطفلتان، وأطفال وطفلات في القياس[٣٧]، والطِّفل: المولود ما دام ناعماًً، والولد حتّى البلوغ، وهو للمفرد والمذكَّر، جمعه أطفال، وقد يستوي فيه

---

(٣٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٤٤٩.

(٣٣) الراغب الأصبهاني، (ت ٤٢٥هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان داودي، ج٢، ط١، دار العلم، والدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ، ٤٧٥.

(٣٤) سورة مريم، الآية (٢٩).

(3) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، دار الدعوة، إستانبول، ١٩٨٩، ص ٥٠٧.

(4) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم الصِّبيّان، ج ٥، من ٢٣٠٦، ح رقم ٥٨٩٣ قال : حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن سيار عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه وذكره .

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصِّبيّان، ج ٤، ص ١٧٠٨، ح رقم ٢١٦٨ بلفظ" أن رسول -ﷺ- مرّ على غلمان فسلّم عليهم" من طريق ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٤٠١.

المذكر والمؤنث والجمع[٣٨]، ففي التنزيل ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [٣٩]. إذن تطلق لفظة الطِّفل من الولادة إلى البلوغ.

ثالثا: الغلام، الابن الصغير، وجمع القلّة ِغلمة، وجمع الكثرة غلمان، والغُلامُ : الطارُّ الشارِب، والكَهْلُ ضِدٌّ أو من حينِ يولَدُ إلى أن يَشِبَّ، ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ماكان عليه، قال الأزهريّ: سمعت العرب تقول للمولود حين يولد ذكرا (غلام)، وسمعتهم يقولون للكهل (غلام) وهو فاشٍ في كلامهم[٤٠]، وفي الحديث عن عمر بن أبي سلمة -رضي الله عنه- قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله - ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحفة، فقال لي رسول الله - ﷺ-: يا غلام، سمِّ الله وكل بيمينك، وكل ممَّا يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد))[٤١]. ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ما كان عليه، كما يقال للصغير شيخ مجازا باسم ما يؤول إليه، ولأخذ اللّفظ على الحقيقة دون المجاز؛ لعدم وجود القرينة الصارفة من اللّفظ الحقيقيّ إلى اللّفظ المجازيّ، فيكون المراد من الغلام في الحديث النَّبويّ الشريف من هو دون سنِّ البلوغ.

رابعاً: اليتيم: وذكره صاحب اللِّسان بقوله: اليتيم الانفراد، واليتيم: الفرد، واليتم: فقدان الأب، وفي البهائم من قبل الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن منقطع، وقال ابن بري: اليتيم الذي يموت أبوه، والعجميُّ الذي تموت أمّه، واللطيم الذي يموت أبواه، وذهب قريبا من ذلك اللّيث، فقال: اليتيم الذي مات أبوه، فهو يتيم حتى يبلغ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتيم، والجمع أيتام ويتامى ويتمة[٤٢]. قلت وألفاظ العجيُّ، واللطيم لم تعد متداولة في عرف الناس اليوم، واقتصر النّاس على لفظة اليتيم لمن يموت أباه، أو أمّه، اوكلاهما.

ويُذكر أنّ أنس بن مالك كان يتيما، فتربّى في بيت النَّبيّ ﷺ.

خامساً: الصَّغير: الصِّغر ضدّ الكبر، والصِّغر والصّغارة خلاف العظم، وقيل في الجرم والصّغارة في القدر.(٤٣) قلت: والصّغير من ألفاظ العموم، تستغرق كلّ مراحل غير البالغين.

سادساً: الولد: الوليد الصَّبيّ حين يولد، وقال بعضهم: تدعى الصَّبيّة أيضاً وليداً، ويقال: غلام مولود وجارية مولودة، أي حين ولدته أمّه، والولد اسم يجمع الواحد والكثير

---

(٣٨) انظر: ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٥٦٠.

(٣٩) سورة الحج، الآية (٥).

(٤٠) أنظر، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢،ص٤٣٩، وأحمد بن محمد الفيومي(ت٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج٢، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ص ٤٥٢.

(٤١) سبق تخريجه،ص(٢٤).

(٤٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ص ٦٤٥، ٦٤٦.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ٤٥٨، وانظر: محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥، ص٣٧٥.

والذكر والأنثى[٤٤]، وعن يعلى العامريّ أنه قال: ((جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النَّبيّ - ﷺ- فضمَّهما إليه وقال: ((إنَّ الولد مبخلة مجبنة)) [٤٥].

([٤٤]) ابن منظور، <u>لسان العرب</u>، ج٣، ص ٤٦٧، وانظر: أحمد بن محمد الفيومي(ت٧٧٠هـ)<u>المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي</u>، ج٢، ص ٦٧١.

([٤٥]) أ. التخريج:

أخرجه ابن ماجه، ت(٢٧٥هـ)، <u>سنن ابن ماجه</u>، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت- لبنان، كتاب الأدب، باب بر الولد والإحسان إلى البنات، ج٢، ص١٢٠٩، ح رقم ٣٦٦٦، قال= =حدثنا أبو بكر بن شيبة حدثنا عفان حدثنا وهب حدثنا عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى العامري وذكره.

وأخرجه أحمد بن حنبل ت(٢٤١)، <u>مسند أحمد بن حنبل</u>،،مؤسسة قرطبة، مصر، ج٤، ص١٧٢، ح رقم ١٧٥٩٨ من طريق عفان عن وهب...

وأخرجه الطبراني، ت (٣٦٠هـ)، <u>المعجم الكبير</u>، تحقيق حمدي عبدالحميد، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ج٣، ص٣٢، ح رقم ٢٥٨٧، من طريق عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة أن حسناً وحسيناً أقبلا يمشيان إلى رسول الله -ﷺ-، فلما جاء أحدهما جعل يده في عنقه، ثم جاء الآخر فجعل يده الأخرى في عنقه، فقبّل هذا ثم قبّل هذا ثم قال: "اللهم إني أحبهما فأحبهما، أيها الناس: إن الولد مبخلة مجبنة"

وأخرجه الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، <u>المستدرك على الصحيحين</u>، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا،ط١،دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،١٤١١هـ،١٩٩٠م، ج٣، ص١٧٩، ح رقم٤٧٧١، من طريق عفان عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن منبه الثقفي وذكره يستبقان إلى رسول الله -ﷺ-... وزاد عليه (فبخله فجبنه فحزنه).

وأخرجه الحاكم أيضاً، ج٤، ص٢٦٦، ح رقم٧٥٩٦، من طريق الأعمش عن خيثمة عن الأشعث بن قيس قال: ولد غلام فبشرت به وأنا عند النَّبيّ -ﷺ- فقلت: وددت لكم مكانه قصعة من خبز ولحم، فقال رسول الله -ﷺ-: إن قلت ذلك إنهم لمبخلة مجبنة محزنة، وإنهم لثمرة القلوب وقرة العين" .

ب. الحكم على الحديث:

رجاله ثقات، قال عنه الحاكم صحيح على شرط الشيخين، <u>المستدرك</u>، ج٤، ص٢٦٦، وقال الهيثمي في <u>مجمع الزوائد</u>: إسناده صحيح ورجاله ثقات، ج١٠، ص٢٩، وذكره الألباني في <u>الجامع الصغير</u> بالصحيح، ص٣٧٦، فالحديث إسناده صحيح .

المبحث الثاني

أهميَّة الخطاب النَّبويّ لغير البالغين

المطلب الأوَّل: حاجة الطُّفولة للخطاب المناسب

إنّ الحاجة اليوم ماسَّة أكثر من أي وقت مضى ؛ لتغيير القواعد والأسس التي تُبنى عليها الأجيال، للانتهاء من حالة إخراج أجيال الهزيمة والتقليد، ولإخراج الأمة من حال الغثائيَّة واللاوزنيَّة إلى حالة الحضور والفاعلية، لأنَّ أطفال اليوم هم عماد حضارة الغد وبناتها.

إنَّ للوالدين دور هامّ وكبير في التَّنشئة القويمة للأطفال، ويتحمّل الوالدين مسؤولية التَّربية المتكاملة لأطفالهم، لقول النَّبيّ -ﷺ-: «ألا كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالإمام الذي على النَّاس راع وهو مسؤول عن رعيَّته، والرَّجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيَّته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرَّجل راع على مال سيِّده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته» (٤٦) .

ويتمثَّل ذلك أيضا في ابعادهم عن مكامن الإنحراف، والحفاظ على المنهج المعتدل والفطر السوية عندهم، ففي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه - قال :قال النَّبيّ- ﷺ-: «كلّ مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّراه، أو يمجِّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء» (٤٧)، والجدع: قطع الأذن أوغيره من الأعضاء، ويحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها (٤٨) .

والقسط في العطيّة بينهم، وعدم بذر بذور التباغض والتحاسد بين الأبناء، «فعن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: «أنّ أباه أتى به رسول الله فقال: إني نحلت ابني هذا غلاما، فقال: أكل ولدك نحلت مثله؟ قال: لا، قال : فأرجعه» (٤٩) .

---

(1) أخرجه البخاري، صحيح البخاري،كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، ج٦ ،ص٢٦١١،ح رقم ٦٧١٩،قال حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما،وذكره .

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم،كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ج٣، ص١٤٥٩،

ح رقم ١٨٢٩ من طريق قتيبة بن سعيد عن محمد بن رمح عن الليث عن نافع عن ابن عمر وذكره.

(٤٧) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين،ج١ ص٤٥٦، ح رقم ١٣١٩ قال حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب عن الوهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه وذكره.

(٤٨) النووي،شرح النووي على مسلم،ج١٦، ص٢٠٩

(٤٩) أخرجه البخاري،صحيح البخاري،كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئا لم يجز حتى يعدل بينهم،ج٢، ص ٩١٣،ح رقم ٢٤٤٦ قال حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن ومحمد بن النعمان بن بشير أنهما حدثاه عن النعمان بن بشير وذكره.

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضل بعض الأوّلاد في الهبة، ج٣،ص١٢٤١،ح رقم ١٦٢٣،من طريق مالك عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن ومحمد بن النعمان بن بشير أنهما حدثاه عن النعمان بن بشير وذكره.

والأطفال اليوم بحاجة الى تغيير لغة الخطاب، والحوار معهم، والنزول لمستواهم، واللَّعب والمزاح معهم، وفهم المراحل العمريَّة المختلفة، وما يناسب كلّ مرحلة من خطاب وحوار وقصص هادفة، فمن حقِّ الأطفال أن يغرس في نفوسهم الحسّ الإيماني بما يناسب مرحلتهم العمريّة، فالإيمان ينمي من خلال قصّة جاذبة، وحكاية حانية تمتلئ بالحركة والخيال الخصب لمرحلة ما قبل التَّمييز(الطُّفولة المبكِّرة)، وأداء الصلاة على شكل حركات يقلّد ويحاكي بها الكبار، يؤدّيها كما يؤدّيها والديه أمامه، دون تعمّق لفهم معاني الألفاظ ومدلولاتها، وترتقي لغة الخطاب والحوار لتنمية الحسّ الإيمانيّ في مرحلة التّمييز(الطُّفولة المتأخّرة)، فيتعرّف على معاني ألفاظ الصَّلاة، وقيم الصّدق، وقراءة القرآن، وحفظه بطريقة سهلة مشوّقة، وتقديم كلّ أساليب الحفز لذلك، وتقديم النّصح والوصايا والإرشاد الخفيف والمؤثر في هذه المرحلة، كما فعل النَّبيّ مع ابن عباس، حيث أردفه خلفه ثم نبّهه ليلتفت إليه بقوله يا غلام، ثمّ يعطيه كلمات مؤثّرة تشكّل عنده ركائز الإيمان وثوابت العقيدة، فعن ابن عباس قال: «كنت خلفت رسول الله -ﷺ- يوما فقال: يا غلام إني أعلّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعواعلى أن يضرُّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف» [٥٠].

كنت خلف النَّبيّ - ﷺ- يوما: أي رديفه، احفظ الله: أي في أمره ونهيه، يحفظك: أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات، احفظ الله تجده تجاهك: أي راع حقّ الله وتحرّ رضاه تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك، والتّاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة، أي احفظ حقّ الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة، إذا سألت: أي أردت السؤال، فاسأل الله: أي وحده؛ لأنّ غيره غير قادر على الإعطاء والمنع ودفع الضرر وجلب النفع، وإذا استعنت: أي أردت الاستعانة في الطّاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة (٥١).

فنحن اليوم بحاجة إلى (تأسيس التَّربية على أساس مراحل النمو، فنحن لا نستطيع أن نلقِّن الطِّفل أيّ فكرة في أي مرحلة من مراحل النمو، ولا نستطيع أن نعلّم كلّ شيء عن أيّ مرحلة، وكذلك تهذيب الأخلاق وغيره، إنّ عملية التَّربية يجب أن تساير عملية

([٢]) أ – التخريج: أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٥٩، ج٤،ص٦٦٧،ح رقم٢٥١٦، قال حدثنا أحمد بن محمد بن موسى أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ليث بن سعد و ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا أبو الوليد حدثنا ليث بن سعد حدثني قيس بن الحجاج المعنى واحد عن حنش الصنعاني عن ابن عباس وذكره.

(٥٠) أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل،ج١،ص٢٣٩.

أخرجه أبو يعلى الموصلي، مسند ابي يعلى،ج٤،ص٤٣٠، كلاهما من طريق يونس عن ليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنه.

أخرجه الطبراني، المعجم الكبير،ج١١، ص١٧٨، من طريق محمد بن الفضل السقطي عن سعيد بن سليمان عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنه وذكره.

ب- الحكم على الحديث: إسناد الطبراني ضعيف فيه عبد الواحد بن سليم مجهول في النقل، وحديثه غير محفوظ ولا يتابع عليه،أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، الضعفاء الكبير، تحقيق عبد المعطي قلعجي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.، سنن الترمذي،ج٤،ص٦٦٧، وإسناد أحمد بن حنبل وابو يعلى الموصلي قوي .فالحديث إسناده صحيح.

([٥١]) محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،دار الكتب العلمية،بيروت،ج٧،ص١٨٥

النّموّ الطّبيعي، وأن تساير نموّ الميول عند الطّفل، وإلا فستؤدّي التّربية إلى أضرار بالغة الخطورة، لا يدركها إلا التربويّون، وكذلك معرفة الفروق الفرديّة بين الذكور والإناث، وكذلك الفروق الفردية بين كلّ جنس على حدة) (٥٢).

وعليه، فقد أصبح تجديد خطاب الطُّفولة ضرورة ملحّة؛ لإخراج جيل الشهود الحضاري على الأمم، ولا يتأتّى ذلك إلا بمزج عاملين مهمين، هما: الأوَّل: فهم أحاديث الطُّفولة كما أرادها النَّبيّ ﷺ. والعامل الآخر: استيعاب مراحل الطُّفولة ومعارفها، وصياغتها ضمن المنظومة الإسلامية، عندها نخرج جيلاً صالحا، يقوم بمهمَّة الاستخلاف، كما خرج الجيل الأوَّل.

المطلب الثَّاني: واقع خطاب المسلمين اليوم لغير البالغين.

بعض أولياء الأمور والمربّين اليوم يغلب عليهم خطاب القهر والأمر والتسلّط على الصغير، والغلظة والخشونة المنفّرة، فالقلوب لا تميل ولا تستلين إلا بالتآلف، ولين القول، والرِّفق في التبليغ. ولقد نسي هؤلاء خطاب الودّ والحبّ والرّحمة والتّيسير والرّقة للصّغير الذي علمنا المنهج النَّبويّ إيّاه، فما كان سيدنا محمد - ﷺ- فظاً غليظاً ولا خشناً، وإنّما كان سمحاً سهلاً ليّناً، ولو كان فظّاً غليظاً ما بلّغ من الحقّ إلا القليل، وما نال من النّاس إلا النّفور، فيقول تبارك وتعالى مادحا خلقه الجاذب للنّاس من حوله:
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾(٥٣). أمَّا الرّفق فإنَّه لازم من لوازم التبليغ، لا يتزيَّن الخطاب الدَّعويّ إلا به، ولا يتجّمل إلا باصطحابه (٥٤).

لقد سيطر اليوم على بعض المربّين أسلوب الأقرع بن حابس وعيينه بن حصن -رضي الله عنهما- وليس المنهج النَّبويّ، ظنّاً بأنَّهم يخرجون جيلاً قادراً على تحمِّل الصّعاب، بل يحمل لأمَّته الصعاب.

فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: ((كان النَّبيّ - ﷺ- يدلع لسانه للحسين فيرى الصَّبيّ حمرة لسانه، فيهش إليه فقال له عيينة بن بدر: ألا أراه يصنع هذا بهذا فوالله إنه ليكون لي الولد قد خرج وجهه وما قبلته قط، فقال النَّبيّ ﷺ: ((من لا يَرحم لا يُرحم)) (٥٥).

---

(٥٢) مقداد يالجن، بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام، ط/ بلا، دار المريخ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص ١٣٤.

(٥٣) سورة آل عمران، الآية رقم (١٥٩).

(٥٤) انظر: عبد الله الزبير عبد الرحمن، كتاب الأمة، من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، ط/١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ص ١١٢- ١١٣.

(٥٥) أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حيان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم باب= =ذكر ملاعبة المصطفى ﷺ للحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما، ج١٥، ص ٤٣١، ح رقم ٦٩٧٥، قال أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا وهب بن بقية أخبرنا خالد ابن عبد الله عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وذكره.

وأخرجه ابن حبان أيضاً، صحيح ابن حبان، ذكر إباحة ملاعبة ولده وولد ولده، ج١٢، ص ٤٠٨، ح رقم ٥٥٩٦، من طريق محمد ابن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف عن وهب بن بقية.

ب- الحكم على الحديث: في إسناده محمد بن عمرو بن علقم بن وقاص الليثي، صدوق له أوهام، تقريب

يمكن أن نخلص بالقول مرة أخرى إلى أنَّ عدم توافر الجيل المنشود مردّه لسببين رئيسين، هما:

أ. عدم العلم بالمنهج النَّبويّ الصَّحيح لتربية النَّاشئة، وهذا ما سيتمّ تناوله في الصَّفحات القادمة.

ب. الانسياق والتقليد للخطاب الفكريّ والمعرفيّ للحضارة الغربيَّة.

أمّا السَّبب الأوَّل: فمردّه إلى البعد عن فقه أحاديث الطُّفولة، وعدم تجليتها للواقع، والعمل بها بحيث تصبح واقع معاش من جهة، وعدم استنطاق وتوظيف النصوص والظروف والملابسات التاريخيَّة التي أحاطت بخطاب النَّبيّ - ﷺ-.

وأمَّا السّبب الثَّاني: فإنَّ المغلوب دائماً مولع بتقليد الغالب، والناس تبعٌ للقوي.

يقول أ.د العلواني في بحثه بعنوان (هيمنة الخطاب الغربيّ)[٥٦]:

(لقد تكوّنت ببلدان الغرب من جرّاء الفصل بين العلم والإيمان نظريات للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، مبنيّة على رؤية ووجهات نظر ماديّة للإنسان ونفسيّتة، ومحاكمة طبيعته وتصرفاته وميوله، وتقويمها من خلال مقاييس المادّة وحدها.

وزاد الخطب حين أحكم الغرب قبضته على مقاليد العالم في أواخر القرن الماضي، حيث عمل على تهميش وإبادة الثّقافات القائمة في بلدان العالم التي استعمرها، معتبراً ثقافته المحور هي المقياس لكلّ فكر ومعرفة، وأساساً لكل خطاب، ثم بدأ الاجتياح والغزو الثقافيّ، وبدأت الحصون الفكريّة والثقافيّة للأمم الأخرى تتهاوى أمامه.

وعلى الرَّغم من أن الأمَّة الإسلاميَّة لم تستسلم بمجموعها للثقافة الغازية، حيث التجأت الفئات المقاومة منها إلى ما بقي محفوظاً من تاريخها الثقافيّ والحضاريّ، تحتمي به من الذوبان، إلا أنّها لم تكن بمستوى التّمكين من المقاومة الفاعلة وإن حال دون الذّوبان الشامل، وكانت النّتيجة انعدام تمكّن الأمّة من عمليّة النّهوض والبناء الحضاريّ، نظراً لهشاشة الفهم للموروث المجتمعي به من جهة، والعجز عن التعامل مع الثقافة الوافدة أو من خطابها الحامل للتحدّي من جهة أخرى.

عدا عن تشرّب ثقافته، والإنسياق وراء خطابه الفكريّ والمعرفيّ، بمحاولة تقليده في كل شيء، والإنبهار به إلى درجة المسخ في شكل أبواق تردّد وتروّج محتواه ومضمونه، ظنّاً من تلك الفئات أنّ ذلك قد يمكّن للأمة من إجتيازها حاجز التخلّف واللّحاق بركب الحضارة، ويعوّضها عن مركب النّقص، إلا أنّ أصحاب هذا التّوجّه لم يجنوا إلا الحصاد المرّ، المتمثّل في فقدان الهويّة، واضطراب الرؤية، وتفكّك الشخصيّة الإسلامية.

ويقول أ.د عماد الدين خليل[٥٧] حول غزو الثقافة الغربيَّة والعولمة: ((غير أنّ العولمة

التهذيب، ج١، ص ٤٩٩، وذكره ابن حبان بأنه كان يخطئ،الثقات، ج٧، ٣٧٧.

وذكره الخطيب في المبهمات، قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن، والثَّاني أنه الأقرع بن حابس، تخريج أحاديث الأحياء، ج٣، ص ٩١.فالحديث إسناده حسن لوجود محمد بن عمرو بن علقمة.

(٥٦) انظرطه جابر العلواني، إصلاح الفكر الإسلامي، مدخل إلى نظم خطاب الفكر الإسلامي المعاصر، ط٣، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ص ٧٢، ٧٣.

في جانبها الاجتماعيّ تسعى إلى إلغاء كل هذا الإرث الإنساني المقدس والقضاء عليه، من خلال تعميم القيم الغربيَّة والأمريكية، وعولمتها على وجه الخصوص، وذوبان الحضارات غير الغربيَّة في النموذج الحضاريّ الغربي، ففي الجانب الاجتماعي تسعى العولمة إلى تعميم السّياسات المتعلّقة بالطِّفل والمرأة والأسرة وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلا أنّها في الواقع تسعى إلى إفساد الأسرة والأفراد، واختراق وعيهم)).

وإذا أردنا أن يتعافى خطاب الطُّفولة اليوم من مرضه المزمن؛ لا بد من وجود عامل رئيس وهو خطاب القدوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٥٨).

وخطاب القدوة هو أوّل خطاب يجب أن يوجّه إلى الأطفال، ولا يكتفي بالجانب الأمريّ والنهييّ والوعظي، ولغة اليجب والينبغي كما يفعل الخطباء اليوم دون تمثّل ذلك سلوكاً يحتذى، فيؤمر الصّغير بالابتعاد عن الإيذاء ويرى الأب أوّل ما يلوك بأعراض النّاس ويؤذي جاره ...

إنَّ عمرو بن عتبه ينبّه معلّم ولده لهذا الأمر، فيقول: (ليكن أوّل إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإنّ عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت)(٥٩).

إنَّ فعل القدوة في النفس أبلغ من الخطاب، فإذا كان الخطاب النّافع مقروناً بالعمل الصالح، فإنّ التَّأثير يكون أشدّ وأبلغ في نفسيّة الأطفال ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٦٠).

يقول الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي(٦١)حول هذه الآية: ((وصف عباد الرحمن بأنهم يرغبون في أن تقرّ أعينهم بالزوج والولد، كما يرغبون في أن يكونوا قدوة وإماماً، ولذلك يجب أن يقلّد الصّغار حركات الصلاة دون أذكارها قبل السابعة، ثمّ يقول: والتقليد يرتكز على ثلاثة عناصر:

١. الرغبة في المحاكاة والاقتداء، فالطِّفل مدفوع برغبة خفيّة لا يشعر بها نحو محاكاة من يعجب به في لهجة الحديث وأسلوب الحركة والمعاملة والكتابة ومعظم عادات السلوك دون أن يقصد، ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك القدوة، لأنّه بذلك يحمل وزر من يقلّده فيها.

---

(٥٧) عماد الدين خليل، في التحديات الحضاريّة للأمّة الإسلاميّة، الآفاق، إصدارات جامعة الزرقاء الأهلية الأردنية، الأردن، حزيران ٢٠٠٠م، ص١٠٣.

(٥٨) سورة الأحزاب، الآية رقم(٢١).

(٥٩) أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي (ت ٣٢٨ هـ)، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة الفرقان، القاهرة، ١٤٠٦هـ، ص ١٢٥.

(٦٠) الفرقان، الآية (٧٤)

(٦١) انظر عبدالرحمن النحلاوي، أصول التَّربية الإسلامية واساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط١، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ص ص ٢٥٨-٢٦٠

٢. الاستعداد للتقليد، ومن ذلك تقليد الابن أباه، وتقليد المغلوب غالبه، والمرؤوس رئيسه.

٣. الهدف، لا يشعر به الطِّفل، فهو غامض بالنسبة له، فغريزة التقليد والانقياد لدى الأطفال والجماعات غرض دفاعيّ، يتمثّل بالانضواء تحت ظلّ الشخص القويّ المرموق».

وهنا يمكن القول بأنّ الطُّفولة تتعرض اليوم إلى استخفاف شديد لم يشهد له مثيل في دنيا المسلمين من ذي قبل، فعلاوة على التّقليد للغالب الغربيّ والانبهار الحضاريّ، وعدم فهم مراد النَّبيّ من خطابه للأطفال، وكيف بفترة وجيزة أنشأ جيلاً كانوا بمثابة النّواة الصّلبة التي بنىَ عليها جيل الصّحابة والتابعين من بعده، تَرى اليوم عدم الاهتمام بآراء النّاشئة، لا بل السّخرية أحياناً منهم ومن آرائهم.

لقد كان ابن شهاب -رحمه الله- يشجّع الأولاد الصّغار ويقول لهم:

«لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإنّ عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتْبع حدة عقولهم»[٦٢].

المطلب الثَّالث: خطاب غير البالغين في التَّربية الغربيَّة.

لإحداث التَّربية المرغوب فيها، لا بد من مقارنة بين منهجين، منهج الغرب في التَّربية، ومنهجنا نحن اليوم في التَّربية، هنا لا بدّ من الذّكر بأنّ الغرب قد أتقن خطاب الطُّفولة أكثر من إتقاننا خطابنا لأطفالنا اليوم، فقد تعاملوا مع الطِّفل بمستواه وما يناسبه، وتجد المكتبة الغربيَّة تعجُّ بآلاف المؤلّفات حول تربية الطُّفولة، وقد قمنا نحن بالتّرجمة عنهم لنقل هذه المعارف، فهذه جيّدة، لكنّ غير الجيّد هو عدم غربلة ما نأخذ عنهم، وطرح ما لا يناسب أبناء المسلمين، لا بل وعدم عرض ذلك على التَّربية الإسلامية والمنهج النَّبويّ الفريد لمطابقتها، وأخذ النظريات الغربيَّة بإستسلام تامّ، واستلاب حضاريّ لم يسبق له نظير، علاوة على ندرة التربويّين المتخصصين والمتعمّقين بالعلوم الإسلامية.

يقول أ.د عبد الحميد أبو سليمان: « ممّا يلفت نظري وينال إعجابي ما كنت أراه من كثير من الأمّهات الأمريكيّات في تعاملهنَّ مع صغار أطفالهنَّ حين يصحبونهم إلى الأماكن العامة، في الشوارع، وفي الحدائق العامة، وفي الملاعب، وفي الأسواق، فكانت الأمّ حين ترغب في توجيه الخطاب إلى الطِّفل، وتوضيح أمر له أو عتابه أو توبيخه على تصرّف من التصرّفات، فإنّها لا توجّه الخطاب إلى الطِّفل علوياً بقامتها منتصبة عملاقة فوق رأس الطِّفل، بل كانت تنزل وقد ثنت ركبتيها،بحيث تصبح على مستوى قامته، وجهاً لوجه معه، ثم تأخذ في مخاطبته الحديث إليه»[٦٣].

وانظر أيضاً كيف نهج اليهود في التعامل مع أطفالهم. يعتبر (دافيد بيت أريه)، وهو من أعلام الحركة الصهيونية: «أنّ التَّربية اليهودية وحدها هي التي تضمن استمرار قيام

---

(٦٢) ابن عبد البر أبو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص ٨٥.

(٦٣) عبد الحميد أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، ط٢،دار الفكر، دمشق، ص ٢١٢

الشعب عن طريق التَّربية اليهودية والدينية، فالطِّفل منذ خطواته الأولى تُزرع فيه جذور حضارة إسرائيل، حيث تبدأ بالحضانة، وتنتهي بالمدرسة اليومية بدور حاسم، والتي تستطيع أن تزرع في الطِّفل حبّه لشعبه وحضارته ولدولتة إسرائيل))[٦٤].

وتتمّ تربية التلاميذ اليهود تربية عقائدية على التوراة والتلمود، حيث قال "بن غورين" أمام تلاميذ مدرسة عسكرية عام ١٩٤٩م: «سنحقّق رؤيا أنبياء بني إسرائيل، فنحن لم نحرّر سوى جزء واحد من بلادنا، وإنّنا ننتظر الوقت الذي يتمّ فيه إنقاذ أرض الآباء والأجداد)) [٦٥].

ويقول أ.د محمد عثمان شبير تحت عنوان آثار العقيدة في حياة اليهود ودورها في المجتمع اليهودي: ((ففي مرحلة رياض الأطفال يُلزم الطِّفل من الخامسة بتلقّي التعاليم الدينية، وفي "الكيبوتسات" يبدأ الإلزام منذ الولادة، وتهدف هذه المرحلة إلى تربية الطِّفل جسدياً واجتماعياً وانفعالياً وعقلياً عن طريق قصص من التوراة، وفي المرحلة الابتدائية تشكل التَّربية الدينية ثلث البرامج التعليمية، وهدف التعليم الرسمي في المرحلة الابتدائية هو إرساء الأسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية، وإنجازات العلم)) [٦٦].

ويلاحظ هنا « أنَّ التعليم الديني في (إسرائيل) يتّسم بخصائص ثلاث:

١. خاصيّة الاستغراق الزّمني؛ فهو ينظّم المراحل التعليمية كافّة من رياض الأطفال إلى الجامعة.

٢. خاصيّة التّكثيف على نحو يشبه التخصص.

٣. خاصية التثقيف المشبع، بمعنى أن كل خرّيج في (إسرائيل)- في أي مرحلة كان- لا يتخرّج إلا بعد أن يتلقّى زاداً دينيّاً مشبعاً، يعبّئ نفسه وشعوره بالعقائد والمفاهيم اليهوديّة...، وهذا سرّ وحدة التصوّر والفكر في المجتمع (الإسرائيلي) بالرّغم من تجمّعهم والتفافهم من أصقاع العالم.

وهناك تركيز على الفترة الفاصلة بين السابعة والخامسة عشرة لسبب علميّ موضوعيّ وهو: أنّ هذه السنوات هي التي يتكوّن فيها فكر الإنسان وتصوره عن الدين، التاريخ، العلاقات، المفاهيم، القيم، والنظرة إلى الذات وإلى الآخر)) [٦٧].

---

(٦٤) محمد مختار المفتي، وأحمد زبادي، فلسفة وأهداف تربية الطِّفل اليهودي في فلسطين، ط١، دار الإبداع، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ص ١٢٠، ١٢١.

(٦٥) المرجع السابق، ص ١١٢.

(٦٦) محمد عثمان شبير، صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، ط١، دار النفائس، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٤م، ص ٨٦.

(٦٧) رشدي فكار وآخرون، التعليم في إسرائيل ديني أم علماني، سلسلة كتاب المعرفة، ع٢، إصدار وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية، الرياض- السعودية، ذو القعدة-١٤١٨هـ آذار،١٩٩٨م، ص ص ٧٠- ٧١.

□

الفصل الثاني

مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة)

تمهيد (مرحلة الحضانة)

المبحث الأوَّل: مفهوم مرحلة ما قبل التَّمييز(الطُّفولة المبكِّرة) وسماتها.

المطلب الأوَّل: مفهوم مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة).

المطلب الثَّاني: سمات مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة).

المبحث الثَّاني: الأسلوب النَّبوي في التَّعامل مع مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة).

المطلب الأوَّل: خطاب الحبِّ والعطف والحنان على الصِّغار.

المطلب الثَّاني: تعليم وتهذيب الصِّغار.

المطلب الثَّالث: رِّعاية الصِّغار والمحافظة على صحَّتهم.

المطلب الرَّابع: اللَّعب مع الصِّغار.

الفصل الثاني

مرحلة ما قبل التَّمييز(الطُّفولة المبكِّرة)

تمهيد:

قبل الدُّخول في مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة)، سأتعرَّض إلى مرحلة الحضانة السَّابقة لها؛ لأسلِّط الضّوء على مرحلة مهمَّة من عمر الإنسان، لما لها من تأثير على بقيّة المراحل العمرية اللاحقة، فقد لبَّت التَّربية النَّبويّة الشّموليّة حاجاتها ولكن بأسلوب غير الخطاب المباشر، فالخطاب كان موجّهاً لأولياء الأمور على شكل توجيهات وإرشادات، وكان يرسم خطى أولياء الأمور وماذا يفعلون تجاه الصِّبيان في هذه المرحلة، والتي تمتدُّ من نزول الجنين صارخاً إلى نهاية الحول الثّاني.

فقد وجّه الخطاب النّبويّ أولياء الأمور ماذا يفعلون في اليوم الأوَّل، واليوم السّابع، وحيال الرّضاعة، وصحَّة الطّفل وغيره، فهو من قبيل الخطاب غير المباشر، أما التّأذين في الأذن اليمنى، والدّعاء للصّبيّ، لما لهما من تأثير على حياته في دنياه وأخراه، وكذلك التّسمية؛ لأنّها محلّ النّداء والخطاب، وكلّ الخطاب منصبّ على هذا الاسم، فهو من قبيل الخطاب المباشر، وسأتناول ثلاث فقرات يلحظ فيها الخطاب المباشر وهي:

أوّلاً: التّأذين في الأذن اليمنى عند الولادة .

يسنّ فعل ذلك ليكون أوّل ما يقرع على مسامعه النِّداء، فقد قال أبو رافع: ((رأيت رسول الله- ﷺ- أذَّن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصّلاة)).[٦٨]

---

(٦٨) أ. التَّخريج :

أخرجه أبو داود (ت٢٧٥)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،كتاب الآداب، باب في الصّبي يولد فيؤذّن في أذنه، ج٢، ص٧٤٩، ح رقم٥١٠٥، قال : حدّثنا مسدد عن يحيى عن سفيان قال حدّثني عاصم بن عبيدالله عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه قال : وذكره .=

=وأخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص٩، ح رقم ٢٣٩٢٠.

وأخرجه التّرمذي، سنن التّرمذي، كتاب الأضاحي، باب الأذان في أذن المولود،ج٤، ص٩٧، ح رقم ١٥١٤.

وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير،ج١، ص٣١٥، ح رقم ٩٣١، وج٣، ص٣٠، ح رقم ٢٥٧٨.بلفظ أذن في أذن الحسن والحسين حين ولدا وأمر به.

وأخرجه الحاكم المستدرك على الصحيحين،ج٣، ص١٩٧.=

وأخرجه البيهقي (ت٤٥٨هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مكتبة مكة المكرمة، ومكتبة الباز، (١٤١٤هـ، ١٩٩٤م) كتاب الضحايا، باب ما جاء في التأذين في أذن الصبي حين يولد، ج٩، ص٣٠٥، ح رقم ١٩٠٨٦. كلهم من طريق عاصم بن عبيدالله عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه

ب. الحكم على الحديث :

صحَّحه التّرمذي وقال حديث حسن صحيح، ج٤، ص٩٧.و قال عنه الحاكم : حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ج٣، ص١٩٧

وقوله بالصّلاة: أي بأذان الصّلاة وهو متعلق بأذّن، والمعنى أذّن بمثل أذان الصّلاة، وهذا يدلّ على سنّيّة الأذان في أذن المولود(٦٩).

إنَّ الخطاب الأوّل الذي يتلقّاه الصّبيّ في مهده هو صيحة التّكبير، ذلك النّداء العلويّ الرّبانيّ الذي لا يعلوه ولا يكبره نداء، ليستقرّ في ضمير الإنسان وعقله ووجدانه، ويختلط بلحمه ودمه، فهو نداء الفطرة التي فطر النّاس عليها.

يقول الأستاذ محمّد قطب: "فالرّأس بالنّسبة إلى الإنسان هو مستودع الحواسّ التي تتحكم في كيانه نفسياً وجسدياً من سمع وبصر وشمّ وذوق، وحين يكون الأذان بمضمونه من التكبير والتّوحيد أول ما يطرق السمع بالرّغم من أنّ الوليد في تلك الفترة لا يدرك شيئاً، إلا أنّ أوعيته تحتفظ بالنبرات والتقطيعات، فانسكابه كالماء الصّافي الرّقراق في الأذن يوافق الفطرة كلّ الموافقة، ويسدّ على النّفس مآرب الشِّرك، ويحميها منه" (٧٠).

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى جملة من الأسرار التالية:

١. ففي النّداء تنسجم الفطرة مع الجسد، وينسجم الأهل مع الولد، فيحدث الانسجام وعدم التّنافر والتّضادّ، تمشّياً مع آية الاستشهاد على الخلق سابقاً مع النّداء لاحقا مع فعل الأهل تقرير وترديد لحقائق موجودة وقديمة.

٢. يعتبر هذا الخطاب الأوّل الذي يتردّد ويتعاقب مثنى مثنى على مسمع الصّبيّ للزيادة في التأكيد، هو السّبيل لإقراره في أعماقه وأحاسيسه، ولا سبيل له سواه .

٣. ثبت بالاستقراء والتّجريب أنّ الطّفل يخشع ويصمت عن البكاء خلال النّداء !!!.

٤. وسرّ التّأذين أيضا أن يكون أوَّل ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمّنة لكبرياء الرّب وعظمته والشّهادة التي هي أوّل ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتّلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقّن كلمة التوحيد عند خروجه منها(٧١).

٥. هروب الشّيطان من كلمات الأذان، والذي كان يرصده حتّى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدَّرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أوَّل أوقات تعلّقه به(٧٢).

---

(٦٩) العظيم أبادي، عون المعبود، ج١٤، ص٧.

(٧٠) محمد علي قطب، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية، ط١، مطبعة خالد، دمشق١٩٨٦، ص٤٢.

(٧١) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص٥٢.

(٧٢) نفس المصدر السّابق ص٥٢ .

٦. أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه سابقة على دعوة الشَّيطان[٧٣].

وهذا يدلّنا دلالة واضحة على اهتمام الإسلام المبكّر بالطفل منذ يوم ولادته، لا بل أبعد من ذلك، ويتمثّل باختيار أمّه قبل ذلك.

ثانياً: الدّعاء بالبركة:

عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: ((ولد لي غلام فأتيت النَّبيَّ - ﷺ - فسمَّاه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إليّ وكان أكبر ولد أبي موسى)) (٧٤).

وهذا فيه إشارة إلى سرعة إتيان أبي موسى الأشعريّ - رضي الله عنه - إلى رسول الله - ﷺ- لبركة الدُّعاء والتَّحنيك من يد الرَّسول الشَّريفة، والتَّسمية على اختلاف بين اليوم الأوَّل والسَّابع حسبما تشير إليه الأحاديث [٧٥].

١. والشَّاهد من الحديث السَّابق:ودعا له بالبركة؛ أي قال: بارك الله فيه، أواللهم بارك فيه. وكذلك قوله فيبرك عليهم: أي يدعو لهم ويمسح عليهم، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته، وفيه التبرُّك بأهل الصلاح والفضل، ومنه استحباب حمل الأطفال إلى أهل الفضل للتبرِّك بهم، وفيه النَّدب إلى اللّين والتَّواضع والرِّفق بالصِّغار وغيرهم[٧٦].

وقال القاضي: أي يدعو لهم بالبركة، ويقرأ عليهم الدعاء بالبركة، وقيل: يقول بارك الله عليكم، ويدعو لهم بالإمداد والإسعاد والهداية إلى طريق الرَّشاد.[٧٧]

وللدَّعوات الطيِّبات المباركات أثر نفسيٌّ عجيب عند الطفل ووالديه، تلمح في عينيّ الرّضيع الرّضى والاطمئنان، وهذا هو مبتغاه من الخطاب، فالشّعور بالحنان والدفئ وبهذه الكلمات ينعكس صداها أيضاً على الأب، بأن يرتبط بولده أكثر، ويزداد تشبّثاً به، وكذلك الأمّ، تفيض عليه من الحنان بعد أن يدعو لولدها العالم الصّالح والأب وكل من يحيط بها، فهي ترى أنّ ولدها كائن عزيز كريم بين أهله ومجتمعه.

ثالثاً: تسمية المولود:

([٧٣])ابن قيّم الجوزيّة، تحفة المودود بأحكام المولود، ص٥٢

([٧٤]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ج٥، ص٢٢٩٠، ح رقم٥٨٤٥، قال: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد بن عبدالله عن أبي برده عن أبي موسى قال: وذكره.

وأخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأسماء، باب أسماء الأنبياء، ج١، ص٢٩٢، ح رقم٨٤٠.

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، ج٣، ص١٦٩٠، ح رقم ٢١٤٥، ولم يذكر فيه " ودعا له بالبركة". من طريق أبي أسامة عن بريد عن عبدالله عن أبي برده عن أبي موسى .

[٧٥] ابن حجر، ت (٨٥٢هـ) فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٧،دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩م،،ص٢٤٨.

[٧٦].انظر النووي، شرح النووي على مسلم (المنهاج)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص ص ١٩٤،١٩٥.

(٧٧) المناوي، ت (١٦٢١م)، فيض القدير، ط١، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ، ج٥، ص ١٩٢.

إنّ لكلّ مسمًّى اسم يعرف به، ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٧٨]، فكانت منّة من الله تسمية الأسماء بمسمّياتها، ورفعة لشأن آدم في الملأ الأعلى أمام الملائكة بأن أنبأهم بأسمائهم، ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٧٩].

وإن ما يخاطب به الإنسان بمجمله هو الاسم، فقد حرص الإسلام على أن يكون جميلاً، ومدلول الاسم ذو أثر عميق في النَّفس، يدخل فيها الإيحاء النفسيّ اللازم، لتكون أداة لمشروع كبير قادم، والصَّبي إذا خلا من الرّؤية يعيش بلا هدف، وهي التي يرسمها له والداه ويعيش لتحقيقها في حقبته الزَّمنيَّة المقدَّرة والمخصَّصة له من عمر هذه الأمة، وإذا كان بلا هدف يعيش تبعاً لهدف آخر، وإذا لم تكن له خطَّة يمشي عليها كان هدفاً لخطَّة أخرى...، نعم! فكم قذف الإيحاء النَّفسيُّ الذي عاشه الصَّحابة حول الرسول - ﷺ- يرسم لهم أجمل الخطط وأسماها، كما يرسم لهم الخطى والأمل سواء بسواء حتى كان ذلك في مدلولات الأشياء، فكم كان حريصاً على أن ينسج المجتمع من حولهم بأبهى حلَّة حتى في الأشكال والأسماء، ناهيك عن الأعماق والمسمَّيات !!.

كانت العرب في الجاهليَّة مختلفة تمام الاختلاف، ((فقد قيل لأبي الدقيش الكلابيّ: لم تسمّون أبناءكم بشرِّ الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال: إنَّما نسمِّي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا، يريد أنّ الأبناء معدة للأعداء فاختاروا لهم شر الأسماء والعبيد معدة لأنفسهم فاختاروا لأنفسهم خير الأسماء)) [٨٠].

والسؤال المطروح هنا: ماذا كان أسلوب النَّبيِّ - ﷺ- مع الصِّبيان تجاه أسمائهم؟

والإجابة على ثلاثة أضرب:

الضَّرب الأوَّل: كان يأمر بالاسم الحسن وينهى عن القبيح، ويقع ذلك تحت دائرة التوجيه العام.

والضَّرب الثاني: تغيير الأسماء المكروهة أو القبيحة، ويقع تحت دائرة تغيير الواقع نحو الأفضل.

والضَّرب الثَّالث: يباشر بتسمية الصِّبيان بالاسم الحسن بنفسه، ويقع تحت دائرة الفعل المباشر.

الضَّرب الأول: كان يأمر بالاسم الحسن وينهى عن القبيح:

---

(٧٨) سورة البقرة، الآية (٣١).

(٧٩) سورة البقرة، الآية (٣٣).

(٨٠)القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج١، ط١، دار الفكر- دمشق، ص ٣٦٤

وقد كان هذا النَّوع لإيجاد الإمتثال للمدعوّين من جمهور الصحابة من حوله - ﷺ- وكانت كلماته تنصب حول حثٍّ الناس على تسمية الاسم الحسن، والابتعاد عن القبيح، لأنَّ العرف السائد كان حينها عرفاً جاهلياً، فجاءت هذه التوجيهات لتثبت عكسها من خلال التَّوجيه العامّ حتَّى يشكِّل أرضيَّة للعمل القادم، وهي إظهار المجتمع كلّه بالأسماء الحسنة التي تدل على مخبر حسن كذلك.

يقول الرّسول - ﷺ-: ((إنّ أحبّ الأسماء إلى الله، عبدالله وعبدالرحمن))[81].

الضَّرب الثَّاني: تغيير الأسماء المكروهة أو القبيحة:

وبما أنَّ المكروه أو القبيح تعافه النُّفوس السَّويَّة، وبما أنّ المجتمع يجب أن يرسى على دعائم قوية لا تشوبها شائبة أو ينتقدها ناقد، قام الرّسول - ﷺ- بتغيير الأسماء المشتملة على الآتي:

أ. القبيح:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - ((أنّ رسول الله - ﷺ- غيَّر اسم عاصية وقال أنت جميلة)) [82]

والاسم القبيح الذي يمسّ كرامته مدعاة للاستهزاء به والسخرية منه.[83] ولأنَّ الاسم يلازمه ويخاطب به مدى حياته وبعد وفاته في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا لا ينقطع ذكره إذا كانت له مآثر أو علم ينتفع به أو صدقة جارية، وفي الآخرة ينادى باسمه بين الخلائق، فيحبّ الإنسان أن ينادى بأحبّ الأسماء إليه.

لقد حرص الرَّسول - ﷺ - على تغيير الأسماء المنفِّرة، والأسماء القبيحة التي تدفع صاحبها الى اتِّخاذها هدفا لتحقيق مدلولها بعد كل نداء.

ب - التي فيها تزكية للنَّفس:

فقد وصَّى الرَسول - ﷺ- على تغيير الأسماء التي تدلُّ على التَّزكية، لأنَّ الله هو أعلم بمن اتقى، فقد تشعر صاحبها بأنَّه مزكّى في المستقبل، وقد تؤدي به إلى الرّكون على العمل عند التَّكليف، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – ((أنّ زينب كان اسمها بَرّه

---

(81) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء، ج٣،ص١٦٨٢، ح رقم٢١٣٢،ق قال: حدثني إبراهيم بن زياد (وهو الملقب بسبلان) أخبرنا عباد بن عباد بن عبيدالله بن عمر وأخيه عبدالله سمعه منهما سنة أربع وأربعين ومائة يحدثان عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ وذكره

وأخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص ١٨٧، ح رقم ١٧٦٤٢، من طريق أبي إسحق عن خيثمة بن عبدالرحمن عن أبيه أن رسول الله ﷺ بلفظ عبدالله وعبدالرحمن والحرث.

(82) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم إلى حسن، ج٣، ص ١٦٨٦،ح رقم ٢١٣٩، وقال حدثنا أحمد بن حنبل وزهير بن حرب ومحمد بن المثنى وعبدالله بن سعيد ومحمد بن بشار قال حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيدالله أخبرني نافع عن ابن عمر وذكره .

وأخرجه البخاري، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، كتاب الأسماء، باب تحويل اسم عاصية، ص٢٨٥،ح رقم ٨٢٠، كلاهما من طريق عبدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر .

(83) عبدالله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج١،ط٣٠، دار السلام، مصر، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٦٦.

فقيل تزكّي نفسها، فسمّاها رسول الله - ﷺ- زينب))[٨٤]. وبَرّه صيغة مبالغة من البرّ، وتزكّي نفسها: تمدحها وتثني عليها، وزينب: إمَّا أن تكون زينب بنت جحش، وإمَّا أن تكون زينب بنت أبي سلمة، فالأولى زوجته، والثانية ربيبته، وكلّ منهما كان اسمها بَرّه، فغيَّره النبيَّ - ﷺ-[٨٥].

الضَّرب الثَّالث: المباشرة بتسمية الصِّبيان بالاسم الحسن بنفسه:

يقول الرّسول - ﷺ- ((ولد لي اللَّيلة غلام فسمَّيته باسم أبي إبراهيم)) [٨٦]

ويذكر البخاري في صحيحه أيضاً أنَّه ((أتي بالمنذر ابن أبي أسيد إلى النبيّ - ﷺ- حين ولد، فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس، فلها النَّبي - ﷺ- بشيء بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النَّبي - ﷺ-، فاستفاق النبي - ﷺ- فقال: أين الصَّبي؟ فقال أبو أسيد: قلبناه يا رسول الله، قال: ما اسمه؟ قال: فلان، قال: ولكن اسمه المنذر، فسمَّاه يومئذ المنذر))(٨٧). قلبناه: أي ردّوه وصرفوه، وقوله: فاستفاق: أي انتبه من

---

(٨٤) أخرجه البخاري،،صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب تحويل الاسم إلى أحسن منه،ج٥، ص٢٢٨٩، ح رقم٥٨٣٩، قال حدثنا صدق بن الفضل أخبرنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عطاء بن أبي ميمون عن أبي رافع عن أبي هريرة وذكره .

أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن،ج٢،ص ١٦٨٧، ح رقم ٢١٤١، من طريق شعبة عن عطاء بن أبي ميمون عن أبي رافع عن أبي هريرة وذكره.

وأخرجه مسلم أيضاً،ج٣، ص١٦٨٧، ح رقم٢١٤٢، من طريق الوليد بن كثير عن عمر بن عمرو بن عطاء عن زينب بنت أم سلمة قالت: كان اسمي برّه، فسماني رسول الله ﷺ زينب، قالت: ودخلت عليه زينب بنت جحش واسمها برّه فسماها زينب

(٨٥) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٥٦٧.

(٨٦) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته- ﷺ- بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج٤، ص١٨٠٧، ح رقم٢٣١٥، قال حدثنا هداب بن خالد بن فروخ كلاهما عن سليمان (اللفظ لشيبان) حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك وذكر نحوه.

أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت، ج٢، ص٢١٠، ح رقم٣١٢٦.

وأخرجه عبد بن حميد، مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري السامرائي، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٨٥، ح رقم ١٢٧٨، جميعهم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك.

(٨٧) أخرجه البخاري،، صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه،ج٥، ص٢٢٨٩، ح رقم٥٨٣٨،

وأخرجه في الأدب المفرد، كتاب الأسماء، باب تحويل الاسم إلى الاسم، ص٢٨٤، ح رقم٨١٦.

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، ج٣، ص١٦٩٢، ح رقم٢١٤٩.من طريق شعبة بن أبي مريم عن ابن مطرف أبو غسان عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي

شغله وفكره الذي كان فيه(٨٨).

المبحث الأول:

مفهوم مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة) وسماتها

المطلب الأوَّل: مفهوم مرحلة ما قبل التَّمييز (الطفولة المبكِّرة):

لقد اختلفت تسميات المرحلة قديماً وحديثاً عند العلماء، سواء أكان ذلك الاختلاف مردّه إلى تحديد فئة العمر، أو إلى توصيف المرحلة، على اعتبار أنَّ هناك تصرّفات مشتركة بين الصِّبيان تضبط المرحلة، أو على اعتبار الأسس البيولوجية، والمعرفيّة، والاجتماعيّة، والتَّربويّة.

عند العلماء المسلمين:

فقد عرَّفها العالم المسلم ابن سينا بمرحلة الصّبا، وهي ما بين (٣-٥) أعوام(٨٩)، وسمَّاها أيضاً بفترة التأديب(٩٠)، على اعتبار أنَّ مرحلة الحضانة أو الرّضاعة تستمرّ من الولادة إلى السَّنتين، لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾(٩١).

ولقد بوَّب البخاري بابا سمّاه باب متى يصحّ سماع الصغّير، وذكر فيه: عن محمود بن الربيع قال: ((عقلت من النَّبيّ - ﷺ- مجّة مجّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو)) (٩٢)، الشّاهد من الحديث عقلت وهي علامة التَّمييزالحدسيّ لمرحلة ما قبل التمييز، ثمَّ قال: مجَّة ولم يقل كلمة كذا، والطّفل في هذه المرحلة يركّز على الحواسّ، فتذكّر حركة مجّ الماء ولم يتذكّر غيرها.

قال ابن حجر: ((واستدلَّ به بعضهم على تسميع من يكون ابن خمس، ومن كان دونها يكتب له حضور. لكن يمكن القول: ليس في الحديث، ولا في تبويب البخاري ما يدل عليه، بل الذي ينبغي في ذلك اعتبار الفهم، فمن فهم الخطاب سمع، وإن كان دون ابن

---

(٨٨) النووي، شرح النووي على مسلم، ج١٤، ص١٢٨.

(٨٩) عبد الرحمن النقيب، فلسفة التربية عند ابن سينا، دارالثقافة، القاهرة، ١٩٨٤، ص١٠٧.

(٩٠) ابن سينا، ت ٤٢٨هـ، كتاب السياسة، تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد،ط بلا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،، ص١٠١.

(٩١) سورة البقرة الآية (٢٣٣)

(٩٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، ج١، ص ٤١، ح رقم ٧٧، كتاب التطوع، باب الصلاة والنوافل جماعة، ج١، ص ٣٩٦، ح رقم ١١٣٠، وكتاب الرقائق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى، ج٥، ص ٢٣٦٠،ح رقم ٦٠٥٩، وكتاب الآذان، باب من لم يرد السلام على الإمام، واكتفى بتسليم الصلاة، ج١، ص ٢٨٨، ح رقم ٨٠٤، قال حدثني محمد بن يوسف قال حدثنا أبو مسهر، قال حدثني محمد بن حرب حدثني الزبيدي عن الزهري عن محمود بن الربيع قال وذكره.
وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ج١، ص٤٥٤، ح رقم٣٣، وذكره مطولاً. من طريق ابن شهاب الزهري، عن محمود بن الربيع الأنصاري.

خمس وإلا فلا. وقد اختلف أحمد بن حنبل ويحيى بن معين على تحديد سنِّ السّماع: فقال يحيى: أقلّ سنّ التَّحمُّل خمس عشرة سنة، لكون ابن عمر ُردَّ يوم أحد، إذ لم يبلغها، فبلغ ذلك أحمد فقال: بل إذا عقل ما يسمع، وإنّما قصَّة ابن عمر في القتال يقصد فيه مزيد القوّة والتبصّر في الحرب، فكانت مظنته سنّ البلوغ، والسّماع يقصد به الفهم، فكانت مظنته التّمييز)) [٩٣].

ويسمِّيها أيضاً حجَّة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي مرحلة ما قبل التَّمييز، وتمتدّ من الولادة إلى سنّ السّابعة؛ لأنّ التَّمييز يخلق فيه وهو قريب من سبع سنين[٩٤]. أمَّا الفقهاء، فقد اعتبروها من مرحلة عدم التّمييز، وتستمرُّ عندهم من الولادة إلى سنِّ التَّمييز، والتَّمييز عندهم هو قدرة الصغير على التَّمييز بين الأشياء، بمعنى: أن يكون له إدراك يفرِّق به بين النَّفع والضَّرر[٩٥].

لقوله تعالى: ﴿...أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ...﴾[٩٦]، أي: لا يعرفون ما العورة، ولا يميِّزون بينها وبين غيرها.[٩٧]

وقول الرَّسول- ﷺ-: ((مروا أولادكم بالصَّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع)) [٩٨].

---

[٩٣] انظر ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص١٧١.

[٩٤] الغزالي، المنقذ من الضلال، تعليق محمد جابر، ج٣، المكتبة الثقافية، ص٢٠١.

[٩٥] انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط١، دار الصفوة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص ص٢٠، ٢١.

[٩٦] سورة النور، الآية (٣١)

[٩٧] البخاري، صحيح البخاري، ج٥، ص٢٠٠٩

[٩٨] أ- التخريج:

أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة،ج١،ص١٨٧،ح رقم ٤٩٥، قال حدثنا مؤمل بن هشام يعني اليشكري ثنا إسماعيل عن سوار أبي حمزة قال أبو داود وهو سوار بن داود أبو حمزة المزني الصيرفي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وذكره،

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٢،ص١٨٠،ح رقم٦٦٨٩.

أخرجه الحاكم، المستدرك، ج١، ص ٣١١،ح رقم ٧٠٨، كلاهما من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وذكره.

أخرجه الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الصبي بالصلاة، ج١، ص٣٩٣،ح رقم ١٤٣١،

أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب أبواب الصلاة،باب متى يؤمر الصبي بالصلاة،ج٢، ص٢٥٩، ح رقم ٤٠٧، ولم يذكر التفرقة

أخرجه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، باب أمر الصبيان بالصلاة،ج٢،ص ١٠٢،ح رقم ١٠٠٢.

أخرجه البيهقي،سنن البيهقي الكبرى،كتاب الحيض، باب ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان أمر الطهارة والصلاة، ج٣،ص٨٣، ح رقم ٤٨٧٠،أربعتهم من طريق عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال وذكره

ب – الحكم على الحديث:

الحديث صحيح، قال عنه الترمذي: حديث سبرة بن معبد الجهني، حديث حسن صحيح، وعليه العمل عند بعض أهل العلم، ج١،ص١٨٧،ح رقم ٤٩٥، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم

ولقد بيَّن الحديث سنّ التَّمييز بسبعة أعوام بالخطاب الموجَّه لوليّ الأمر، بأن يأمر ابنه بالصلاة على سبيل التَّربية والتَّدريب وهو ابن السَّابعة.

وقد أطلق عليها حديثاً مرحلة قبيل المدرسة، وتمتدّ من نهاية مرحلة الحضانة (الفطام) حتى دخوله المدرسة، إذ تستقبل رياض الأطفال ما بين سنّ الثَّالثة والسَّادسة تقريباً[٩٩].

عند العلماء الغربيِّين:

فقد اهتمَّ العلماء الغربيّون أمثال بياجيه(١٠٠) وإريكسون(١٠١) بالنموّ الإنسانيّ، فمنهم من قسَّم مرحلة الطّفولة من وجهة نظر معرفيّة ذهنيّة عقليّة، كالعالم السويسري (جون بياجيه)، فهو يرى أنَّ التَّفاعل المستمرّ والدّيناميكي بين الفرد والبيئة هو الأساس والضروريّ لكلِّ أنواع السُّلوك الذكيّ عند الإنسان، ولذلك سمَّاها مرحلة ما قبل العمليات، وقسَّمها إلى قسمين: الأوَّل: من سنِّ (٢-٤) أعوام، وهو طور ما قبل المفاهيم، والثَّاني: من سنِّ (٤-٧) أعوام، وهو الطّور الحدسيّ(١٠٢).

ومنهم من قسَّم المراحل من وجهة نظر اجتماعيَّة، كالعالم (إريكسون)، حيث سمَّى هذه المرحلة من خلال تقسيماته الثّمانية لحياة الإنسان بمرحلة تعلّم الذاتيَّة والاستقلاليَّة في مقابل الشعور بالعار من(٢-٤)أعوام، وتعلم المبادأة في مقابل الشّعور بالذنب من (٤-٦) أعوام[١٠٣].

ومنهم من قسَّم المراحل من وجهة نظر أخلاقيَّة، فهم في هذه المرحلة يركّزون على الذّات الفرديَّة[١٠٤].

ومن خلال حديث أمر الصِّبيان بالصلاة لسبع، اعتبر سنّ السابعة الحد الفاصل للتمييز وعدمه عند الفقهاء والمحدثين وعلماء التربية من جهة، ومن جهة أخرى اعتبر سنّ الخامسة بداية قرب التَّمييز، أو بداية نهايات سنّ عدم التمييز، أو الطّور الحدسيّ والاعتماد على الحواسّ كما هو واضح من حديث محمود بن الربيع، هذا بالإضافة إلى أنَّه بنصّ آية الحضانة أو الرّضاع السّابقة، بيَّنت بأنَّ السَّنتان الأوليّتان من عمر الإنسان هي مرحلة الحضانة، فعليه يمكن تعريف مرحلة ما قبل التَّمييز عند العلماء

يخرجاه ج١ ص٣٨٩، ووافقه الذهبي.

(٩٩) حامد زهران، علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)،ط٤،عالم الكتب، ١٩٧٧، ص ١٦١ .

(١٠٠) (جون بياجيه): أكثر من ساهم في النظرية المعرفية في العصر الحديث، جون بياجيه، وهو عالم سويسري متخصص في البيولوجيا يقول هناك وظيفتان للتفكير ثابتتين هما: التنظيم والتكيف.

(٢) (إريكسون): معالج نفسي وأستاذ التطور الإنساني والعلاج النفسي في جامعة هارفرد بالولايات المتحدة الأمريكية من مواليد ألمانيا عام ١٩٠٢م، التقى في شبابه مع فرويد النمساوي واهتم بنظريته التحليلية وتأثر بها إلا أنه كان يركز على البعد الاجتماعي ولم يركز على البعد الجنسي كفرويد ومكنته خبرته الطويلة من صياغة نظريته من خلال الوقائع الاجتماعية التي عاشها وجعل منها خطة ناجحة، إلا أنه يؤخذ عليها ضعف التجريب من خلال مواقف عملية تجريبية متعددة.

(١٠٢) شفيق علاونه، سيكولوجية النمو الإنساني (الطفولة)، ط١،دار الفرقان، عمان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ص١٧٩.

(١٠٣) المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(١٠٤) انظر محي الدين توق وآخرين، أسس علم النفس التربوي،ط٣، دار الفكر-عمان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص ص١٩٠-١٩١.

المسلمين محذوفا منها الحضانة؛ كونها لا يوجد فيها خطاب مباشر، وعند التربويِّين (الطُّفولة المبكّرة)، بأنها هي تلك الفترة العمريَّة التي تمتدُّ من سنِّ (٢-٧) أعوام، والتي لا يمتلك فيها الطِّفل القدرة على الادراك الذي يفرِّق فيه بين النَّفع والضَّرر، ويرافقها منظومة من السُّلوكات والتَّغيرات الجسميَة، والعقليَّة، والاجتماعيَّة، والانفعاليَّة المشتركة بين معظم أطفال هذه الفترة، والتي تميِّزها عن سواها من الفترات.

المطلب الثَّاني: سمات مرحلة ما قبل التَّمييز (الطُّفولة المبكِّرة):

تظهر في هذه الفترة مجموعة من السِّمات العقليَّة، والاجتماعيَّة، والانفعاليَّة، والجسميَّة، وسأبيِّن أهمَّ هذه السِّمات:

أوَّلاً : الجانب العقلي:

من وجهة نظر بياجيه، فإنَّه يرى أنَّ الطفل من سنِّ(٢-٦) أعوام لديه عدد من الخصائص العقليَّة تميزه عن غيره من المراحل، وقد سمَّاها مرحلة ما قبل العمليَّات، وأهمُّ مميِّزات هذه المرحلة ما يلي[١٠٥]:

١. تمركُز تفكير الطِّفل نحو ذاته، فما يدركه هنا أنَّ كلَّ البشر يفكِّرون نفس تفكيره، فهو لا يتَّفق مع وجهات نظر الآخرين، بل يغيِّر وجهات النَّظر، والحقائق، والتّغيرات؛ لتتناسب مع أفكاره وذوقه.

٢. إنَّ أهمّ ما يميِّز هذه المرحلة هو ظهور اللُّغة عند الطِّفل، وتكون هذه اللُّغة حسب الآتي:

أ. تكون هذه اللُّغة خاصَّة به، فهي تبدأ أوَّلاً بالإشارات نصف اللَّفظيَّة، وهي خاصَّة به، ولا معنى للمستمع أيّ شيء منها.

ب. يعبِّر الطِّفل عن صورته الذهنيَّة بالكلام، ويعتقد أنَّ لدى الآخرين نفس الصُّورة التي تكوَّنت لديه.

ج. يتميَّز التَّفكير في سنِّ الثَّانية من عمره بالأنويَّة، وهذا يعني أنَّ الطّفل يتكلَّم مع نفسه ويحاورها، ويتكلَّم كلمات وألفاظ لا يدرك معناها.

د. تتميَّز اللُّغة في سنِّ الثَّالثة بالسُّرعة والقدرة، وتتساوى قدرته على الكلام مع سرعة التفكير لديه، ويكون ذلك مع تفهُّم الأهل ومساعدتهم للطِّفل، ويكوّن الطفل في هذا العمر جملا قصيرة مفيدة تكون من (٣-٤) كلمات.

هـ. الطِّفل في سنِّ الرَّابعة يردِّد كلمات يسمعها من الراشدين دون أن يفهمها؛ ليختبر معناها مع الآخرين، ويبدأ شيئاً فشيئاً إدراك قواعد اللُّغة التي يتكلَّمها، وفهم ما يقال له إذا كان يعرف الكلمات التي يسمعها، ويستطيع أن يكوّن جملا كاملة مفيدة مكوَّنة من (٤-٦) كلمات.

---

(١٠٥) انظر حامد زهران، علم نفس النمو، (الطفولة والمراهقة)، ص ١٧٥، وانظر ريتا مرهج، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، أكاديميا، ٢٠٠٢م، بيروت- لبنان، ص ص١١٨، ١٣١.

و. ويتطوَّر تدريجيّا، فهو يطوِّر طريقة تفكيره ولغته التي يتكلم بها إلى أن يصل إلى السَّابعة؛ لتتلاءم مع محيطه الاجتماعيّ.

٣. يتركَّز اهتمام الطِّفل وتفكيره على خاصيَّة واحدة للشَّيء، ولا يهتمّ بالخصائص الأخرى، فإذا خيَّرته مثلا بين كوبين أحدهما طويل والآخر قصير ويحتويان نفس كميّة الشراب؛ فإنَّه يختار الكوب الطويل ويرفض الكوب القصير، مع أنَّهما يحتويان نفس كميّة الشَّراب.

٤. التدرُّج الذِّهني لا يزال غير كافٍ، فهو لا يستطيع تتبّع سلسلة خطوات ثم الرجوع بالاتجاه المعاكس، فهو لا يستطيع أن يفهم مثلاً (٢+١=١+٢).

٥. عدم قدرة الطِّفل على التَّصنيف ضمن مجموعة تتضمَّن نفس الخصائص والصفات، فمثلاً إذا عرضت للطِّفل مجموعة من عشر وردات صفراء وأربع وردات حمراء، وسألته أيهما أكثر، الورود أم الورد الأصفر؟ فيجيب على الفور: الورد الأصفر أكثر؛ لأنَّه لا يدرك أنَّها كلَّها من مجموعة فئة الورود.

٦. تزداد مقدرة الطِّفل على التَّعلُّم من الخبرة، والمحاولة، والخطأ.

٧. أمَّا الذَّاكرة: فيلاحظ زيادة التذكُّر المباشر (الحدث القريب)، ويكون تذكُّر العبارات المفهومة أيسر.

٨. أمَّا التخيُّل: فيلاحظ أن اللَّعب الإيهاميّ، أو الخيال وأحلام اليقظة تميِّز هذه المرحلة، فهم مولعون بالعرائس، والدمى، وتمثيل أدوار الكبار.

٩. ويقول د. محمود شوق: إنَّ أهمَّ خصِّيصة من خصائص هذه المرحلة هي قدرة الطِّفل على التَّخيُّل، وعلى الحفظ السريع للمواد التعليمية المنظومة، وبخاصة إذا حدثت من خلال مخاطبة أكثر من حاسَّة[١٠٦].

١٠. تعتبر مدارك الطِّفل في هذه المرحلة صغيرة، وأنَّ قدرته على الاستيعاب محدودة، فنحدِّثه بما يتناسب مع قدرته ومداركه لا بما نعرفه نحن عن حقيقة الألوهيَّة[١٠٧].

١١. يطلق على هذه المرحلة مرحلة السُّؤال من قبل علماء النفس، ويكثرون من كلمات (ماذا، ولماذا، وكيف، وأين)؛ وذلك للاستزادة من المعرفة العقليَّة، ويقول الباحثون أنَّ (١٠-١٥%) من حديث الطفل عبارة عن أسئلة[١٠٨]، ويبلغ محصولهم اللُّغويّ في السَّنة الرابعة تقريباً (١٥٠٠) كلمة، وفي السَّنة الخامسة (٢٠٠٠) كلمة[١٠٩].

---

(١٠٦)محمود أحمد شوق، مؤتمر الطفولة في الإسلام، بعنوان أهم أسس تربية الطفل تربية إسلامية، جامع الأزهر، القاهرة،١٩٩٠، ص٢٤٥.

(١٠٧) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية،ج٢،ط٢ دار الشروق، القاهرة، ص١٦٢.

(١٠٨) حامد زهران، علم نفس النمو، مرجع سابق، ص١٧٣.

(١٠٩) جودي كير، العمل مع الأطفال الصغار، ترجمة مركز إيمان للتعليم المبكر، ط/١، دار الأهلية، عمان- الأردن، ص١٠٣.

ثانياً: الجانب الانفعالي:

يلاحظ هنا مواكبة التطوُّر العاطفي للقدرات الذهنية والتعبيرات اللغويَّة، وأهمُّ مميِّزات[110] هذا الجانب ما يلي:

١. تتميَّز الانفعالات هنا بأنها شديدة ومبالغ فيها (غضب شديد، حُبٌّ شديد، كراهيَّة شديدة)، وأنَّها واضحة وتتميَّز بالتنوُّع والانتقال من انفعال إلى آخر.

٢. يتركَّز الحبُّ كلُّه حول الوالدين، وتظهر الانفعالات المركَّزة حول الذات، كالخجل، والإحساس بالذنب، ومشاعر الثقة بالنَّفس، والشعور بالنقص، ولوم الذات، والاتجاهات المختلفة نحو الذات.

٣. ويزداد الخوف ويقلُّ نتيجة الشعور بالأمن والقدرة على التَّحكم بالبيئة، وتزداد مثيرات النفس عدداً وتنوعاً، فيخاف الطِّفل بالتدرُّج من الحيوانات، والظَّلام، والأشباح، والفشل، والموت.

٤. ظهور نوبات الغضب المصحوب بالاحتجاج اللَّفظي، والأخذ بالثأر أحياناً ويصاحبهما العناد والمقاومة، وخاصَّة عند حرمان الطِّفل من إشباع حاجاته.

٥. تتأجَّج نار الغيرة عند ميلاد طفل جديد، ويشعر وكأنَّه عزل عن عرشه الذي كان يتربَّع عليه؛ لذلك يلجأ الطِّفل إلى الارتداد أو النّكوص إلى سلوك طفولي، مثل مصِّ الإصبع، أو التبوُّل، أو الكلام الطفولي؛ لجلب انتباه والديه لاستعادة ما فقده.

٦.استجابته العاطفيَّة ودّية؛ فقد يضحك كثيراً استجابة لموقف معين حوله أو حركات أو ضحكات يقوم بها الراشدون[111].

٧.أهمُّ سلبيَّة هي: الفقدان قبل سنِّ الخامسة، كأن يفقد أحد والديه من طلاق أو موت، فهو يفقد التوحّد أو التقمّص، ففي المستقبل يقابله الجنوح، وتقلّ بعد سنِّ الخامسة[112].

---

(110) راجع حامد زهران، علم نفس النمو(الطفولة والمراهقة)، ص١٣١، وعبدالعزيز جادو، علم نفس الطفل وتربيته، المكتبة الجامعية، ٢٠٠١م، ص ص٦٩-٧٢.

(111) فاخر عاقل، علم النفس، ط٦، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ص٥٣

(112) عبدالرحمن عدس وآخرون، المدخل إلى علم النفس،ط٦، دار الفكر، عمان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

ثالثاً: الجانب الاجتماعي:

يتحوَّل الطفل في هذه المرحلة إلى كائن اجتماعي، ويتَّضح ذلك من خلال ردود أفعاله نحو علاقاته الاجتماعيَّة، وتعبيراته عن المواقف التي يعيشها، ويرى إريكسون في نظريَّته (التطوُّر الاجتماعي) ما يلي:

١. التَّقليد؛ فيقلد الطفل الوالد ويتشبَّه به، وتتشبَّه البنت بالأمّ، فيأخذ كلٌّ منهما الصِّفات والكلام والحركات الخاصَّة، كلٌّ حسب جنسه [١١٣].

٢. ينتقل اللعب في هذه المرحلة من اللعب الفرديِّ في بداية المرحلة إلى اللعب التعاونيِّ في نهاية هذه المرحلة، فتظهر المنافسة بين الأطفال، وقد يلعب الأطفال مع من هم أصغر منهم ولمدَّة أطول[١١٤]، ويمرّ بمرحلة متوسّطة تسمَّى اللعب المتوازي، أي أنَّ الطفل يلعب قرب الأولاد الآخرين بمثل ألعابهم دون التدخل بهم[١١٥].

٣. تتَّسع دائرة العلاقات والتفاعل الاجتماعي عنده مع الأسرة ومع الرِّفاق في عامه الثالث[١١٦].

٤. يحبّ في نهاية المرحلة أن يساعد والديه والآخرين، ويصاحب هذا التعاون طلبات كثيرة ودائمة[١١٧].

٥. تكون الزَّعامة والعدوان عنده وقتية ما تظهر إلى أن تختفي، ويظهر العدوان على شكل صراخ وبكاء ودفع وجذب وضرب وركل، ويكون لأتفه الأسباب، وسرعان ما ينتهي الموقف ويرجع إلى اللعب مع الأطفال[١١٨].

٦. يتقبَّل المعاني التي يحدِّدها الكبار، ويضطرب السلوك إذا حدث صراع أو تذبذب في معاملة الكبار، ويقلق من فقد الرِّعاية إذا بدأ سلوكه الاجتماعي غير لائق؛ ممَّا يجعله يكفّ هذا السُّلوك ويدعه ينطفئ ويستبعده نهائياً[١١٩] .

---

(١١٣) فاخر عاقل، علم النفس، ص٥١٢.

(١١٤) المرجع السابق، ص٥١٣.

(١١٥) ريتا مرهج، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، ص١٣٥.

(١١٦) حامد زهران، علم نفس (النمو والمراهقة)، ص١٨٨.

(١١٧) المرجع السابق، ص١٨٨.

(١١٨) المرجع السابق، ص١٨٨.

(١١٩) المرجع السابق، ص ص١٨٩، ١٩٠.

رابعاً: الجانب الجسدي:

هناك مجموعة ملاحظات نلاحظها على نموِّ الأطفال تميّزه من غيره في المراحل الأولى:

تستمرُّ الأسنان بالظهور، ويكتمل عدد الأسنان المؤقّتة ويبدأ تساقطها لتظهر الدَّائمة في سنِّ السَّادسة، وينمو الرَّأس نموًّاً بطيئاً في نهاية المرحلة ليصل إلى مثل حجم الرَّاشد، وتنمو الأطراف وينمو الجذع بدرجة متوسطة، أما الطُّول في نهاية السَّنة الثَّالثة يكون تقريباً (٩٠) سم، ثم يزداد بمعدل(٩-٨-٧-٦) سم، خلال السنوات (٣، ٤، ٥، ٦) متباطئاً، ويزداد الوزن بمعدَّل كغم في السنة الواحدة [١٢٠].

يكون البنون أقلّ وزناًبدرجة طفيفة من البنات، وأكثر حظّاًمنهنَّ في النَّسيج العضلي[١٢١].

تمتاز هذه المرحلة باكتمال نموّ الجهاز العصبيِّ المركزيِّ، وزيادة في العضلات، وقدرته على استخدام عضلاته الصغرى، مثل عضلات اليدين في الرَّسم وترتيب المكتبات[١٢٢].

يتمُّ في هذه المرحلة ضبط الإخراج تماماً[١٢٣]، وتكون هذه في بداية المرحلة.

---

[١٢٠] المرجع السابق، ص١٦٢.

[١٢١] المرجع السابق، ص١٦٤.

[١٢٢] انظر ريتا مرهج، أولادنا من الولادة حتى المراهقة، ص١٠٠.

[١٢٣] حامد زهران، علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة)، ص١٦٥.

المبحث الثاني:

الأسلوب النَّبوي في التَّعامل مع مرحلة الطفولة المبكِّرة

المطلب الأوَّل: خطاب الحبِّ والعطف والحنان على الصِّغار:

لقد كان الرَّسول - ﷺ- يحنو على الصِّغار، ويعطف عليهم، ويفيض عليهم من حبِّه الخالص لهم، غير متصنِّع ولا متعالٍ عنهم، فها هو يصرِّح بحبِّ الحسن والحسين، ويكشف عن أستار قلبه؛ ليعلم الصَّحابة بذلك من حوله، ويسمع المخاطبين، حتى يكون منهج التربية النبويَّة واضحاً لتلك الفئة وقوامها الحبّ.

فعن أسامة بن زيد – رضي الله عنهما- حدث عن النبي- ﷺ-: ((أنَّه كان يأخذه والحسن فيقول: اللهم أحبَّهما فإنِّي أحبُّهما)) [١٢٤]، ويذكر ابن حجر أنّ الحسن كان عمره سنتين[١٢٥]. كما أنّ ولادة الحسن في السَّنة الثالثة للهجرة، وولادة الحسين في الرابعة[١٢٦]. فعليه تكون كلّ توجيهات الرَّسول - ﷺ- لهم على أساس مرحلة ما قبل التمييز (الطفولة المبكِّرة)، لأنَّ وفاة الرسول - ﷺ- كانت في السَّنة الحادية عشرة للهجرة.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: ((كنَّا نصلي مع رسول الله - ﷺ- صلاة العشاء، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً ويضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا، حتى قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، أردهما؟ فبرقت[١٢٧] برقة، فقال لهما: الحقا بأمّكما قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا)) [١٢٨].

---

[١٢٤] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أسامة بن زيد رضي الله عنه، ج٣، ص١٣٦٦، ح رقم ٣٥٢٨، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا معتمر قال: سمعت أبي حدثنا أبو عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما وذكره.

وأخرجه البخاري أيضاً، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٣، ص١٣٦٩، ح رقم ٣٥٣٧.من طريق سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد.

[١٢٥] ابن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص٤٣٤.

[١٢٦] السيوطي وآخرون، شرح سنن ابن ماجه، ج١، ص٢٨١.

[١٢٧] فبرقت: والبرق الذي يلمع في الغيم، وجمعه بروق، لسان العرب، ابن منظور، ج١٠، ص١٤.

[١٢٨] أ. التخريج: أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص٥١٣، ح رقم ١٠٦٦٩، قال: حدثنا أسود بن عامر ثنا كامل وأبو المنذر ثنا كامل قال أبو كامل قال أسود قال أنا المعني عن أبي صالح عن أبي هريرة قال وذكره. =

= وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج٣، ص٥١، ح رقم ٢٦٥٩

وأخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين، ج٣، ص١٨٣، ح رقم رقم٤٧٨٢، وكلاهما من طريق كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة.

ب. الحكم على الحديث: فيه كامل بن العلاء التميمي السعدي، قال عنه ابن حجر: صدوق يخطئ، تقريب التهذيب،

الفرع الأوَّل: رحمة الصَّغير ومعانقته وتقبيله:

وها هو صلوات الله وسلامه عليه يتكلَّم بكلمات قليلة العدد، كثيرة المعاني، تبني في نفسيَّة الصَّغير دعائم المودة والانسجام والدفع العاطفيّ الذي يحتاجه الصغير، فيدعو له، ويمنحه الثقة والمحبة.

إنَّ أفضل كلمات تبقى راسخة في ذهن الصغير هو أن تدعو له، وتشعره بالحنان والعطف، وتبلغه بأنَّك تحبُّه، ففي الطفولة المبكِّرة، إذا صرَّح المربِّي بأنَّه لا يحبَّ طفله أو يكرهه، قد تشكِّل عنده عقداً نفسية مستقبلية، وتشعره بالنَّبذ العاطفي والحرمان، ويفقد الثقة بوالديه وممَّن حوله.

وكذلك إنَّ أفضل كلمات تبقى راسخة في ذهن الصَّغير أن تنبعث هذه الكلمات بعد معانقة الصَّبي وضمه إلى الصدر. !!

«إنَّ الأطفال بحاجة إلى حبٍّ وعاطفة جيَّاشة من الكبار تجاههم؛ فهم تنتابهم موجات غضب في سنِّ الثالثة» [١٢٩].

«إنَّ أحوج بني الإنسان إلى الرَّحمة هم الأطفال، في ضعفهم، وقلة حيلتهم، وكثرة أخطائهم، واعتمادهم على غيرهم، وكثرة مضايقاتهم، وتعدُّد طلباتهم، وتتابع إزعاجهم، ومعاملتهم برحمة فائقة قد تغرس في قلوبهم الرَّحمة، ويحملون معهم التَّراحم إذا شبّوا، فيرحم الحاكم المحكوم، وترحم الجماعة الفرد، ويحقق التَّراحم متانة العلاقات، ويوثق ترابطها» [١٣٠].

وانظر للحسن كيف كان مستقبله بأن حقن الله به دماء المسلمين، وألّف بين الفئتين من المسلمين بفضل تربيته - ﷺ- للحسن، وقوله وتوجيهه له وهو طفل يحمل على كتفه فوق المنبر.

يقول الرّفاعي: «إنَّ الحبَّ الدافئ الشامل الذي يمكن أن ينعم به الطفل يفعل فعله الكبير بمقدار ثقته بنفسه، وطمأنينته نحو شروط الحياة، وقدرته على مواجهة الظروف القاسية والسَّمحة على السَّواء» [١٣١].

وعن أبي هريرة الدوسي - رضي الله عنه - قال: «خرج النَّبيُّ- ﷺ- في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلِّمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: (أثم لكع أثم لكع) فحبسَته شيئاً، فظننت أنَّها تلبسه سخاباً أو تغسله، فجاء يشتدّ حتى عانقه

ص٤٥٩ ،وقال النسائي: ليس بالقوي .وقال ابن عدي: رأيت في بعض رواياته أشياء أنكرتها وأرجو أنه لا بأس به، وقال عنه ابن معين ثقة، تهذيب الكمال،ج٢٤،ص١٠١، وذكره ابن حبان:بأنه يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل من حيث لا يدري فلما فحش ذلك من أفعاله بطل الاحتجاج بأخباره، ابن حبان، المجروحين، تحقيق محمود ابراهيم زايد ج٢،، دار الوعي، حلب،ص٢٢٦. فالحديث رجاله ثقات إلا كامل بن العلاء التميمي السعدي، مختلف فيه وثقه ابن معين وقال الحاكم عن الحديث: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، المستدرك، ج٣، ص٨٣، وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات، مجمع الزوائد، ج٩، ص٩٠، فإسناده صحيح.

([١٢٩]) جودي كير، العمل مع الأطفال الصغار، ص١٠٣.

([١٣٠]). أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، ط١، دار الفرقان، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ص١٩٩.

([١٣١]) نعيم الرفاعي، الصحة النفسية دراسة في سيكولوجبة التكيف، ط٧، طبعة جامعة دمشق، ١٩٨٧م، ص٣٩٠

وقبّله وقال: اللهمَّ أحبّه وأحبّ من يحبّه» [132]. وقوله طائفة من النَّهار: «أي قطعة منه، وقوله لا يكلمني ولا أكلمه: أمَّا من جانب النبي- ﷺ- فلعله مشغول الفكر بوحي أو غيره، وأمَّا من جانب أبي هريرة راوي الحديث فللتّوقير، وكان ذلك شأن الصَّحابة إذا لم يروا منه نشاطا. والفناء: الموضع المتَّسع أمام البيت. وقوله أثم لكع: قال الخطابي: اللّكع على معنيين: أحدهما الصَّغير، والآخر اللئيم، والمراد هنا الأوَّل ولغة تميم هي الصغير قالها بلال بن حجر التَّميمي. وقوله فحبسته شيئاً: أي منعته من المبادرة إلى الخروج إليه قليلاً، والفاعلة فاطمة. وقوله فظننت أنها تلبسه سخاباً: أي قلادة تتخذ من طيب ليس فيها ذهب ولا فضَّة، وقيل من قرنفل، وقيل هو حبل من خرز يلبسه الصِّبيان والجواري. فجاء يشتدّ أي: يسرع في المشي، وفيه رحمة الصَّغير ومعانقته وتقبيله» [133].

الفرع الثاني: الثناء على الصِّغار:

عن أبي بكرة -رضي الله عنه- أخرج النبيّ - ﷺ- ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر وقال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [134].

([132]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، ج٢، ص٧٤٧، ح رقم ٢٠١٦، قال حدثنا علي بن عبدالله حدثنا سفيان عن عبيدالله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال وذكره.

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٤، ص١٨٨٣،ح رقم ٢٤٢١، بلفظ جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه... وذكره.

وأخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة رضوان الله عليهم، باب فضل الحسن والحسين رضي الله عنهماج١، ص٥١، ح رقم ١٤٢، بلفظ : قال للحسن، " اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه" قال: وضمه إلى صدره. كلاهما من طريق سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه قال وذكره

وأخرجه البخاري أيضاً، الأدب المفرد، آداب المجلس، باب الاحتباء، ص٤٠٤، ح رقم ١١٨٣، من طريق هشام بن سعد عن نعيم المجمر عن أبي هريرة قال: ما رأيت حسناً قط إلا فاضت عيناي دموعاً وذلك: أن النبي-ﷺ- خرج يوماً فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي فانطلقت معه فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع فطاف فيه ونظر ثم انصرف، وأنا معه حتى جئنا المسجد، فجلس فاحتبى ثم قال: اين لكاع، ادع لي لكاع، فجاء حسن يشتد فوقع في حجره ثم أدخل يده في لحيته، ثم جعل النبي -ﷺ- يفتح فاه، فيدخل فاه في فيه ثم قال: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه".

وأخرجه النسائي، سنن النسائي الكبرى، كتاب المناقب، فضائل الحسن والحسين، رضي الله عنهما، ج٥،ص٤٩، ح رقم ٨١٦٣، بلفظ رأيت رسول الله -ﷺ- والحسن على عاتقه وهو يقول : "اللهم إني أحب هذا فأحبه" من طريق شعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب

وأخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٨٥، ح رقم٤٧٩١، بلفظ "لا أزال أحب هذا الرجل بعدما رأيت الرسول -ﷺ- يصنع ما يصنع رأيت الحسن في حجر النبي -ﷺ- وهو يدخل أصابعه في لحية النبي -ﷺ- والنبي-ﷺ- يدخل لسانه في فمه ثم قال: ثم قال: اللهم إني أحبه فأحبه" من طريق سفيان عن نعيم بن أبي هند عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

([133]) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج٤، ص ص ٣٤١، ٣٤٢.

([134]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٣، ص١٣٢٨،، ح رقم ٣٤٣٠، قال: حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حسين الجعفي عن أبي موسى عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه وذكره.

خلاصة دراسة مرويَّات الحسن:

تعتبر مرويَّات الحسن بمجملها مادَّة ثريَّة وواسعة يمكن أن نستفيد منها في تربية الجيل القادم. ويمكن تلخيص هذه الفوائد بما يلي:

١. أنَّه تارة كان يجلس على فخذ النبي - ﷺ- هو والحسين، وتارة أخرى مع أسامة بن زيد، مع أنَّ أسامة قد ناهز الحلم، وهل ذلك مرده إلى العدل النبوي أو لعلَّ أسامة كان قد مرض، فمن رأفته - ﷺ- بأسامة وهو صغير أنَّه كان يضعه على فخذه الأخرى[١٣٥].

٢. انظر حرص فاطمة -رضي الله عنها- على ولدها الحسن، وعدم إخراجه إلا بالمظهر الطيِّب، من حيث اللباس، والزِّينة، والرَّائحة.

٣. إنَّ الصِّغار دائماً يقبلون على من يحبّهم، ولذلك انظر لفظة الحديث« فجاء يشتد» أي يسرع في المشي نحو من يحبّه، وهو كذلك بعد أن منعته ابنته فاطمة -رضي الله عنها- لتطييبه وتنظيفه، ولذلك فإن الحب والحنان ضروري في الطفولة المبكِّرة، وخصوصاً بعمر الحسن وهو في سنِّ الثانية من العمر.

٤. إن جمع المرويَّات يشير إلى تعدُّد الصُّور للعناق والتقبيل، مما يرسم لنا صورة حيَّة للمشاهد:

أ. رواية البخاري: تقبيل، ثمَّ دعاء وحبّ.

ب. رواية مسلم: سعي الحسن، ثمَّ عناق كلّ واحد منهما صاحبه، وهذا بدوره نزول المربّي صلوات ربي وسلامه عليه للحسن لمستواه، حتى رأى الحسن أنَّه صاحب للرسول - ﷺ- وليس حفيده.

ج. رواية ابن ماجه: لم تكتفِ بالعناق، وإنَّما أيضاً بالضمِّ إلى الصَّدر، قال ((وضمَّه إلى صدره)).

د. رواية البخاري في الأدب المفرد البحث عن الصغير، فجاء فوقع في حجره، ثمَّ العبث باللِّحية الشريفة، ثم فتح فمه، ثمَّ إدخال فمه في فمه الشريف، ثمَّ الدعاء بعد ذلك.

هـ. صورة أخرى عند النّسائي عن البراء بن عازب، وكأنَّها مشهد آخر غيره، يُرى الحسن على عاتق النبي - ﷺ-، أو بعد الحركة الأولى تمت الحركة الثانية، ثم ينتهي المشهد بالدعاء.

و. أمَّا رواية الحاكم فهي إعجاب أبي هريرة من فعل الرسول - ﷺ-واستغرابه الذي ولّد لديه الحبَّ للحسن، وهو أسلوب التَّربية بالقدوة من خلال المشاهدة، بأن رأى الحسن في حجره الشريف وهو يدخل أصابعه في لحيته، والنبي - ﷺ- يدخل لسانه في فمه ثم يدعو له، «هذا وتشير الدِّراسات العلميَّة إلى أنَّ معظم الأطفال الذين يتَّصفون بالانسحاب والاكتئاب تفرض عليهم قيود شديدة، ويبالغ الآباء في ضبط سلوك أطفالهم، ولا

وأخرجه البخاري أيضاً، كتاب الفتن، باب قول النبي-ﷺ- ابني هذا سيد، ج٦، ص٢٦٠٢، ح رقم ٦٦٩٢.

(١٣٥) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج، ص٤٣٤.

يظهرون لهم مقدارا كافياً من الحبِّ والعطف» [١٣٦].

ز. يلاحظ من مجمل المرويَّات تركيز الرَّسول - ﷺ- على الجانب الحسِّي أكثر من العقلي (الإدراكي)، وهذا ما يناسب هذه المرحلة من ضمٍّ، وتقبيلٍ، وعناق...

واستعمال الإيحاء النَّفسي من النَّبي- ﷺ- للحسن بقوله: «ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»، وكانت له القيادة في العراق، وسارت جيوشه إلى الشام لملاقاة جند الشام على يد معاوية، فبعث لهم معاوية للصُّلح فنزل عليه، ولقد دارت الأيام «فكانت له السِّيادة بعد مقتل أبيه، وكرَّمه دعاه إلى الجود بملكه حقناً للدماء، وإصلاحاً بين الفئتين من المسلمين، ولذلك سمِّي عام الصُّلح عام الجماعة» [١٣٧].

الفرع الثالث: العطف على الصَّغير:

أمَّا الحسن والحسين فقد اشتملت أحاديث على ذكرهما بنفس الحديث، فعن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- قال النبي - ﷺ-« هما ريحانتاي من الدنيا» [١٣٨].

وقال: ريحانتاي، شبَّههما بذلك لأنَّ الولد يشمُّ ويقبَّل [١٣٩]، والمراد أيضاً بالرِّيحان هنا: الرِّزق، أي هما من رزق الله الذي رزقنيه سبحانه وتعالى، ويقال حباني بطاقة ريحان: بمعنى ممّا أكرمني الله وحباني به لأنَّ الأولاد يشمون ويقبلون، فكأنَّهم جملة الرياحين، وقوله: من الدنيا أي: نصيبي من الريحان الدنيوي [١٤٠].

الفرع الرَّابع: بيان فضل محبَّتهم والدُّعاء بالخير لهم:

عن أسامة بن زيد-رضي الله عنه- قال: طرقت النَّبيّ - ﷺ- ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي - ﷺ- وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو، فلمَّا فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ قال فكشفه فإذا حسن وحسين عليهما السلام على وركيه، فقال: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهمَّ إنِّي أحبّهما وأحبّ من يحبّهما» [١٤١].

---

[١٣٦] شفيق علاونه، سيكولوجية النمو الإنساني، الطفولة، ص٢٩٣.

[١٣٧] المصدر السابق، ج١، ص٢٠٧.

[١٣٨] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين،- رضي الله عنهما-، ج٣، ص١٣٧١، ح رقم ٣٥٤٣، قال حدثني محمد بن بشار حدثنا منذر حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب سمعت ابن أبي نعم سمعت عبدالله بن عمر وذكره، وأخرجه أيضاً في كتاب الآداب، باب الولد وتقبيله، ج٥، ص٢٢٣٤، ح رقم ٥٦٤٨، من طريق ابن أبي يعقوب عن ابن أبي نعم عن ابن عمر وذكره.

وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، ج٥، ص٦٥٧، ح رقم ٣٧٧٠ من طريق ابن أبي يعقوب عن ابن أبي نعم عن عبدالله بن عمر.

[١٣٩] ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٩٩.

[١٤٠] المصدر السابق، ج١٠، ص٤٢٧.

[١٤١] أ. التخريج:

وقوله فكشفه: أي أزال ما عليه من الحجاب، وعلى وركيه: ما فوق الفخذ، وقوله هذان ابناي: أي حكماً، وابنا ابنتي: أي حقيقة، وقوله: اللهمَّ إنِّي أحبّهما: لعلَّ المقصود من إظهار هذا الدعاء حمل أسامة وغيره على زيادة محبتهما(١٤٢).

الفرع الخامس: ضمُّ الأبناء:

وعن يعلى العامري أنَّه قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي - ﷺ-، فضمَّهما إليه وقال: «إنَّ الولد مبخلة مجبنة» (١٤٣).

ومعنى مبخلة مجبنة: قال السّيوطي: مفعلة من البخل والجبن، أي سبب لبخل الأب وجبنه، ويحمل أبويه على البخل وكذلك على الجبن(١٤٤).

الفرع السَّادس: العدل بين الأبناء في العطف:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: «خرج علينا رسول الله - ﷺ- ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرَّة، ويلثم هذا مرَّة، حتى انتهى إلينا فقال له رجل: يا رسول الله: إنَّك تحبّهما، فقال - ﷺ-: من أحبَّهما فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»(١٤٥).

أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، ج٥، ص٦٠٦، ح رقم ٣٧٦٩، قال: حدثنا سفيان بن وكيع وعبد بن حميد قالا: حدثنا خالد بن مخلد حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبدالله بن أبي بكر بن زيد بن المهاجر أخبرني مسلم بن أبي سهل النبال أخبرني الحسن بن أسامة بن زيد أخبرني أبي أسامة بن زيد قال وذكره.

وأخرجه النسائي، السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب ذكر قول النبي -ﷺ- الحسن والحسين أبنائي، ج٥، ص١٤٩، ح رقم ٨٥٢٤.

وأخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٤٢٢، ح رقم ٦٩٦٧.

وأخرجه الطبراني، المعجم الصغير، ج١، ص٣٣٢، ح رقم ٥٥١، ثلاثتهم من طريق موسى بن يعقوب الزمعي عن عبدالله بن أبي بكر بن زيد بن المهاجر عن مسلم بن أبي سهل النبال عن الحسن بن أسامة بن زيد عن أسامة بن زيد.

ب. الحكم على الحديث:

الحديث اسناده حسن، قال عنه الترمذي هذا حديث حسن غريب، سنن الترمذي، ج٥، ص٦٥٦، فيه موسى بن يعقوب صدوق سيء الحفظ، تقريب التهذيب، ج١، ص٥٥٤، ووثقه يحيى بن معين، الجرح والتعديل، ج٨، ص١٦٨، وقال عنه الذهبي،الكاشف: فيه لين ج٢، ص٣٠٩.

(١٤٢) انظر محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج١، ص١٧٨.

(١٤٣) سبق تخريجه، ص٣٠.

(١٤٤) السيوطي وآخرون، شرح سنن ابن ماجه، ص٢٦١.

(١٤٥) أ. التخريج:

الفرع السَّابع: الرَّأفة بالصِّغار والتَّضحية من أجلهم:

عن بريدة - رضي الله عنه- قال: «خطب رسول الله- ﷺ-، فأقبل الحسن والحسين -رضي الله عنهما- وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل وأخذهما، فصعد بهما المنبر ثمَّ قال: صدق الله؛ (إنَّما أموالكم وأولادكم فتنة) رأيت هذين فلم أصبر، ثمَّ أخذ في الخطبة» [(١٤٦)].

يعثران: من العثرة، وهي الزّلة، وفيه جواز الكلام في الخطبة للأمر يحدث، وما قال بعض الفقهاء إذا تكلم أعاد الخطبة فهو باطل، قال الخطابي: والسنة أولى ما اتبع، وقوله: ثم أخذ في الخطبة: أي شرع بها[(١٤٧)].

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص٤٤٠، ح رقم ٩٦٧١ قال: حدثنا بن نمير قال: أنا حجاج – يعني بن دينار- عن جعفر بن إياس عن عبدالرحمن بن مسعود عن أبي هريرة وذكره، وأخرجه أيضاً، فضائل الصحابة، ج٢، ص٧٧٧، ح رقم ١٣٧٦.

وأخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٨٢، ح رقم ٤٧٧٧، من طريق نمير عن حجاج...

ب. الحكم على الحديث:

إسناده صحيح، رجاله ثقات، صححه أحمد شاكر، المسند، ج٢، ص٤٤٠، ح رقم ٩٦٧١.

(١٤٦) أ: التخريج

أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث، ج١، ص٣٥٨، ح رقم ١١٠٩، قال: حدثنا محمد بن العلاء أن زيد بن حباب حدثهم ثنا حسين بن واقد حدثني عبدالله بن بريدة عن أبيه قال وذكره.

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٣٥٤، ح رقم ٢٣٠٤٥، وزاد عليه بلفظ "فحملهما فوضعهما بين يديه..."

أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب لبس الأحمر للرجال، ج٢، ص١١٩٠، ح رقم ٣٦٠٠، وزاد عليه بلفظ "فأخذهما فوضعهما في حجره..."

وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، ج٥، ص٦٥٨، ح رقم ٣٧٧٤.

وأخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب الجمعة، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة، وقطعه كلامه ورجوعه إليه، ج٣، ص١٠٨، ح رقم١٤١٣، وزاد عليه "فلم أصبر حتى قطعت كلامي فحملتهما".

وأخرجه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، كتاب الوضوء، باب الرخصة للخاطب في قطع الخطبة للحاجة تبدو له،ج٢،ص٣٥٥،ح رقم ١٤٥٦.

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الجمعة، باب كلام الإمام في الخطبة، ج٣، ص ٢١٨، ح رقم ٥٦١٠ جميعهم من طريق حسين بن واقد عن عبدالله بن بريده عن بريدة.

ب. الحكم على الحديث:

فيه حسين بن واقد المروزي أبو عبدالله القاضي قال عنه ابن حجر ثقة له أوهام،تقريب التهذيب، ص١٦٩، وقال عنه ابن معين: ثقة،تاريخ ابن معين برواية الدوري، ج٤ ص٢٠، ووصفه الدار قطني بالتدليس،طبقات المدلسين،ج١ ص٢٠،وقال عنه ابن المبارك :من مثله،الكاشف،ص٣٣٦،وذكره البخاري: بأنه عبدالله بن بريده، التاريخ الكبير،ج٢،ص٣٨٩ . والحديث صححه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، المستدرك،ج١،ص٤٢٤،و صححه ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة،ج٢،ص٣٥٥ ، وغالبية رجال الحديث قالوا بتوثيقه، وكلام الدار قطني بالتدليس لا يضره،قال حدثني بريده،فالحديث صحيح الإسناد والله اعلم .

(١٤٧) العظيم آبادي، عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ج٣، ص٣٢٢.

وفيه دلالة واضحة على عدم إيذاء الصَّغير، والحنوّ عليه، وقطع الأمر الهامّ لأجله، وسرعة المبادرة لتلافي الضرر عنه.

الفرع الثامن: قضاء حوائجهم وعدم الضَّجر منها:

وعن عبدالله بن شداد –رضي الله عنه- عن أبيه قال: «خرج علينا رسول الله - ﷺ- في إحدى صلاتيِّ العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدَّم رسول الله - ﷺ- فوضعه ثم كبَّر للصَّلاة فصلَّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطالها، قال أبي: فرفعت رأسي، وإذا بالصَّبي على ظهر رسول الله - ﷺ- وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي فلمَّا قضى رسول الله- ﷺ- الصَّلاة قال الناس يا رسول الله: إنَّك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننَّا أنَّه قد حدث أمر أو أنَّه يوحى إليك قال: كلُّ ذلك لم يكن، ولكنَّ ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»(١٤٨).

الشَّاهد من الحديث أنَّ ابني ارتحلني، وفي رواية ذكرها ابن أبي الدّنيا أنَّ ابني هذا(١٤٩)على مسمعه فيه دلالة تعزيز وتطمين على فعله، والخطاب موجَّه له وللمصَّلين، وفيه إشارة إلى ترك الصَّغير يقضي حاجته وفق مراده، وعدم استعجاله حتى لو كان ذلك في العبادة؛ حتى تطمئنَّ نفسه ولا تضطرب، فيشعر بأنَّه مقصود الفعل والخطاب كذلك.

خلاصة دراسة مرويَّات الحسن والحسين - رضي الله عنهما-:

إنَّ مجمل مرويَّات الحسن مع أخيه الحسين تشعر بنفس الحبِّ السَّابق مع الرَّسول - ﷺ-

---

(١٤٨) أ: التخريج

وأخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب صفة الصلاة، باب هل تجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، ج٢، ص٢٢٩، ح رقم ١١٤١، قال: أخبرنا عبد الرحيم بن محمد بن سلام قال: حدثنا يزيد بن هارون قال أنبأنا جرير بن حازم قال: حدثنا محمد بن أبي يعقوب البصري عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال وذكره.

وأخرجه ابن أبي شيبة، ت(٢٣٥هـ)المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض،١٤٢٩هـ كتاب الفضائل، باب ما جاء في الحسن والحسين، ج٦، ص٣٧٩، ح رقم٣٢١٩١.

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص٤٩٣، ح رقم ١٦٠٧٦.

وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج٧، ص٢٧٠، ح رقم ٧١٠٧، جميعهم من طريق جرير بن حازم عن محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب عن عبدالله بن شداد عن أبيه .

وأخرجه الحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٨١، ح رقم ٤٧٧٥.

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الحيض، باب الصبي يتوثب على المصلي، ويتعلق بثوبه فلا يمنعه، ج٢، ص٢٦٣، ح رقم ٣٢٣٦.

ب. الحكم على الحديث:

الحديث صحيح الإسناد، رجاله ثقات، صححه الحاكم على شرط الشيخين، المستدرك، ج٣، ص١٨١، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، الثمر المستطاب، ص٧٥٩.

(١٤٩) ابن أبي الدنيا، العيال، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم، ١٩٩٠، ج١، ص٣٨٤.

تجاه الحسن، وتزيد هذه الرِّوايات على السَّابق ما يلي:

١. عدله - ﷺ- بين الحسن والحسين(يلثم هذا مرة ويلثم هذا مرة) وهم على عاتقه (جعل يده في عنقه، وجاء الآخر فجعل يده الأخرى في عنقه)، (وجاء الحسن والحسين فضمَّهما)، وكذلك (فإذا حسن وحسين على وركيه) أي كلّ واحد منهما على ورك بالتساوي، فلو قبّل الحسن، أو وضع الحسين على وركه، أو ضمَّ الحسن دون الحسين، أو الحسين دون الحسن، لحرم من العطف والحنان، وشعر أحدهما بالنَّبذ والحرمان، (كما أنَّ التَّمييز في النَّواحي المعنويَّة كالملاحظة بالمعاملة ينبغي أن يسير على نمط دقيق لا يثير حقد أحد من الأبناء على أحد، فلا يفضّلون بين أحد من الأبناء في الرحمة والشفقة حتى في القبلة)[١٥٠].

دعوة الآخرين لمحبَّة الأبناء كما يحبُّهم هو، فإذا رأى النَّاس منه حُبًّا لأبنائه أحبَّهم النَّاس، وهذا أسامة بن زيد دعاه فضوله لمعرفة ما هو مشتمل عليه- ﷺ- فلبَّى دعاه وكشف له، فإذا بالحسن والحسين على وركيه.

٢. الدُّعاء أيضاً من الوسائل المهمَّة لتدعيم الشخصيَّة، ورضى الوالدين على الصِّبيان، والقبول في الدُّنيا والآخرة، ودعوة للآخرين لمحبَّتهما، قال: «اللهمَّ إنِّي أحبُّهما فأحبّهما وأحبّ من يحبّهما».

٣. التَّكثير من الألفاظ المؤكَّدة على الالتصاق بالأبناء والقرب منهما «هذان ابناي وابنا ابنتي».

٤. يكون الأبناء حافزاً على الكدّ للدنيا، ودافعاً للآباء إلى البخل عن الإنفاق، والجبن في الإقدام للمعارك أحياناً، وحزن لقلوب آبائهم على بعض تصرُّفاتهم وفقدهم؛ وذلك لتربيتهم، والحرص عليهم لاستمرار النَّوع البشري، ومع ما يعتري الإنسان من ذلك، إلا أنَّهم ثمرة القلوب، وبهم تقرّ وتهدأ النُّفوس والعيون.

٥. الرِّفق بالأبناء حتى في العبادات، فضعه برفق وحنان إذا تعلق بك، واتركه يلعب؛ لأنَّ ذلك عنده بمثابة لعب إيهاميٍّ بالقفز على الظَّهر، تخيُّلاً منه أنَّه يمتطي حصاناً من جهة، ومن جهة أخرى لا يعقل حقيقة التصرُّف نحو العبادات، فهو غير مكلف، فلا ينفع معه النَّهر والدَّفع مطلقاً.

«إنَّ الطفل لا ينضج روحياً ونفسياً إلا عندما يحسّ أنَّ الوالد يحبّه ويثق به وأنَّه راضٍ عنه، فإذا كان الوالد محتدّاً نافذ الصَّبر معه باستمرار، فأغلب الظَّن أنَّه يهيمن عليه شعور بعدم الارتياح »[١٥١].

الفرع التَّاسع: المسح على رؤوسهم:

عن عتبة بن حنظلة قال: «سمعت حنظلة بن جذيم جدِّي أنَّ جدَّه حنيفة قال لجذيم: اجمع لي بنيّ فأنا أريد أن أوصي فجمعهم، فقال إنَّ أوَّل ما أوصي أنَّ ليتيمي هذا الذي في

---

(١٥٠) محمد عقلة الإبراهيم، تربية الأولاد في الأسرة، ط/١، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٩٠، ص٢٠٦.

(١٥١) انظر سبوك، موسوعة العناية بالطفل، ترجمة عدنان كيالي وآخرون، ط/٤، المؤسسة العربية، ١٩٨٤م، ص٢٧٩.

حجري مائة من الإبل التي كنَّا نسمِّيها في الجاهليَّة المطيَّبة، فقال جذيم يا أبت إنِّي سمعت بنيك يقولون إنَّما نقر بهذا عند أبينا فإذا مات رجعنا فيه، قال فبيني وبينكم رسول الله -ﷺ- فقال جذيم رضينا، فارتفع جذيم وحنيفة وحنظلة معهم غلام وهو رديف لجذيم، فلمَّا أتوا النبي- ﷺ- سلَّموا عليه فقال النبي - ﷺ- وما رفعك يا أبا جذيم، قال هذا، وضرب بيده على فخذيّ جذيم، فقال إنِّي خشيت أن يفجأني الكبر أو الموت، فأردتُّ أن أوصي، وإنِّي قلت أنَّ أوَّل ما أوصي أنَّ ليتيمي هذا الذي في حجري مائة من الإبل كنَّا نسميها في الجاهلية المطيَّبة، فغضب رسول الله - ﷺ - حتى رأينا الغضب في وجهه وكان قاعدا، فجثا على ركبتيه وقال: لا لا لا الصَّدقة خمس، وإلا فعشر، وإلا فخمس عشرة، وإلا فعشرون، وإلا فخمس وعشرون، وإلا فثلاثون، وإلا فخمس وثلاثون، فإن كثرت فأربعون، قال، فودَّعوه ومع اليتيم عصا وهو يضرب جملا، فقال النبي - ﷺ- عظمت هذه هراوة يتيم، قال حنظلة فدنا بي إلى النبي- ﷺ– فقال: إنَّ لي بنين ذوي لحىً ودون ذلك، وإنَّ ذا أصغرهم، فادع الله له، فمسح رأسه وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه، قال ذيال فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع، فيتفل على يديه ويقول بسم الله، ويضع يده على رأسه ويقول على موضع كفِّ رسول الله - ﷺ - فيمسحه عليه، وقال ذيال فيذهب الورم»[١٥٢]. فكان هذا فعله - ﷺ- مع الصِّغار، فمسح منهم وجه جابر بن سمرة ويقول: وجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار[١٥٣]، وكان يمسح خدهم واحداً واحداً - أي أهله من الولدان، وكذلك مسح خد عبدالله بن ثعلبة بن صعير عام الفتح[١٥٤]، ومرَّة بن إياس المزني وكان غلاماً صغيراً[١٥٥]، وزهرة بن معبد وكان صغيراً ولد في السَّنة الرَّابعة للهجرة[١٥٦].

ولم أذكر أحاديثهم في هذا الباب لاشتمالها على المسح على الرؤوس دون الخطاب، ويشتمل الحديث على المسح الحسِّي الذي يشعر بالأمن، والطمأنينة، والتَّعزيز عن

---

(١٥٢) أ. التخريج

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٦٧، ح رقم ٢٠٦٨٤ قال ثنا أبو سعيد بنى هاشم ثنا ذيال بن عتبة بن حنظلة قال سمعت حنظلة بن جذيم جدي أن جده حنيفة قال لجذيم وذكره.

وأخرجه الطبراني، المعجم الأوسط، ج٣، ص١٩١، ح رقم ٢٨٩٦، من طريق الذيال بن عتبة بن حنظلة عن حنظلة عن جذيم وذكره.

أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج٤، ص١٣، ح رقم ٣٥٠١من طريق أحمد بن داود المكي عن محمد بن أبي بكر المقدي عن محمد بن عثمان عن ذيال بن عتبة وذكره.

ب. الحكم على الحديث

قال الهيثمي: رواه الطبراني في المعجم الكبير بنحوه، وأحمد، ورجال أحمد ثقات، مجمع الزوائد، ج٩، ص٦٨٠. فإسناده صحيح .

(١٥٣) الجؤنة: سلة مستديرة مغشاة أدماً يجعل فيها الطيب والثياب، لسان العرب، ج١٣، ص٨٣.

(١٥٤) انظر البخاري، صحيح البخاري، باب مقام النبي بمكة زمن الفتح، ج٤، ص٥٦٤، ح رقم ٤٠٤٩.

(١٥٥) انظر أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ص١٩، ح رقم ١٦٢٩٥.

(١٥٦) انظر الذهبي، الإصابة، ج٢، ص٣٦٩.

طريق اللمس، وخصوصاً إذا كان مقروناً بالدعاء.

الفرع العاشر: لباس وحليّ الصغار:

عن أمّ خالد - رضي الله عنها- قالت: «أتى النَّبيّ ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: من ترون أن نَّكسو هذه؟ فسكت القوم، قال: ائتوني بأمِّ خالد، فأتي بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: ابلي واخلقي وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال يا أم خالد: هذا سناه وسناه بالحبشية حسن» (١٥٧).

وقوله ﷺ بها تحمل: فيه إشارة إلى صغر سنِّها إذ ذاك.

وقوله: أبلي واخلقي: هو الدعاء بطول البقاء للمخاطب

ومعناه: عش واخرق ثيابك وارقعها، ورواية الفربري: واخلفي أوجَه من القاف، وهي إذا أبلته أخلفت غيره.

والسنا: بلسان الحبشة الحسن(١٥٨).

وفيه يدلُّ على مخاطبة المخاطب باللغة التي يفهمها، حيث إنَّ أم خالد كانت قد ولدت بالحبشة، فهي تفهم جانباً منها عدا عن اللغة العربية مخاطبها بكلمتين «أبلي واخلقي» و«سناه»، وفي رواية البخاري الأخرى «سناه، سناه» مع التِّكرار؛ لتثبيت المعنى عند المخاطبين الصِّغار، وكذلك رواية الحاكم كرَّرها مرَّتين.

ويهمّنا أيضاً جانب آخر من رواية البخاري الثالثة من طريق عبدالله بن المبارك، حيث لعبت أمُّ خالد بخاتم النبوَّة فزبرها، أي منعها أبوها وزجرها، فقال له النبي- ﷺ- دعها: أي اتركها، وهذا كلُّه من قبيل العطف والحنان وحسن الرعاية بالصغار، فلا يصلح أبداً مع هذه المرحلة الزَّجر والتعنيف.

وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «قدمت على النبي ﷺ حلية(١٥٩) أهداها له فيها

---

(١٥٧) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، ج٥، ص٢١٩١، ح رقم ٥٤٨٥، قال: حدثنا أبو نعيم إسحق بن سعيد عن أبيه سعيد بن فلان هو عمرو بن سعيد بن العاص عن أم خالد بنت خالد وذكره.

وأخرجه أيضا، كتاب اللباس، باب ما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً، ج٥، ص٢١٩٨، ح رقم ٥٥٠٧، من طريق سفيان عن إسحق بن سعيد السعيدي عن أبيه عن أم خالد بنت خالد وذكره بلفظ:" قدمت من أرض الحبشة وأنا جويرية...، يمسح الأعلام بيده ويقول سناه سناه"

وأخرجه أيضا، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، ج٣، ص١١١٧، ح رقم ٢٩٠٦، من طريق عبدالله بن المبارك عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أم خالد بنت خالد بن سعيد، وزاد عليه بلفظ: " .. قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة، فزبرني أبي، قال رسول الله -ﷺ- (دعها)" والزبر: هو الزجر والمنع، الفتح، ج١٠، ص٤٢٥.

وأخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٧٢، ح رقم ٢٣٦٧، وذكر " أبلي واخلقي مرتين"، من طريق إسحق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن عمرو عن أم خالد بنت خالد.

(١٥٨) ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٢٨٠

(١٥٩) مصاغ الذهب والفضة أو المتاع، القاموس المحيط ص٩٨٥

خاتم من ذهب فيه فصٌّ حبشي[160]، قالت فأخذه رسول الله ﷺ بعود معرضاً عنه أو ببضع أصابعه، ثمَّ دعا أمامة ابنة أبي العاص – ابنة زينب – فقال: تحلَّي بهذا يا بنيَّه»[161][162].

المطلب الثاني: تعليم وتهذيب الصِّغار

إنَّ الصِّغار بحاجة إلى تعليم وتهذيب دائمين، وإذا كان التَّعليم والتَّهذيب موجوداً للكبار فهو أكبر عند الصِّغار لسببين: أوَّلاً، لسهولة التَّوجيه وقبول ذلك عندهم، وثانياً، لعدم تشكلهم بالكلية، فهم كالأغصان الغضَّة، يسهل تعديلها وتقويمها، ولذلك حرص الرسول - ﷺ- على تعديل سلوكيَّاتهم على الفور دونما تأخير، وهذا ما سنراه بالأسطر القادمة، حيث حرص على تعديل سلوك الحسن وعبد الله بن عامر وعمر بن أبي سلمى، وإبقاء هذه السلوكيات منسجمة مع الفطرة، مستقيمة دونما اعوجاج؛ حتى تسهل قيادتها في المراحل القادمة في الطفولة المتأخِّرة (المراهقة والشباب)... عندما تبدأ مرحلة التَّكليفات والعبادات بإنزالهما عليهم.

---

(160) .المركب المثبت فيه الشيء، وجمعه فصوص، الفراهيدي، العين، ج٥، ص٣٦٢.

(161) أ. التخريج:

- أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الختم، باب ما جاء في الذهب للنساء، ج٢، ص٤٩٣، ح رقم٤٢٣٥، قال: حدثنا ابن نفيل ثنا محمد بن سلمه عن محمد بن إسحق قال حدثني يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبدالله عن عائشة رضي الله عنها قالت وذكره.

- وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص١١٩، ح رقم ٢٤٩٢٤.

- أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب النهي عن خاتم الذهب، ج٢،ص١٢٠٢، ح رقم ٣٦٤٤

- وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الزكاة، باب سياق أخبار تدل على إباحته للنساء، ج٤، ص١٤١، ح رقم ٧٣٥٠،

جميعهم من طريق محمد بن سلمه عن محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه عباد بن عبدالله عن عائشة

ب: الحكم على الحديث:

إسناده حسن، فيه محمد بن إسحق صدوق يدلس، تقريب التهذيب، ج١، ص٤٦٧.

قال عنه صاحب عون المعبود: قال المنذري وأخرجه ابن ماجه في إسناده عن محمد بن إسحق بن يسار مخالفة بقوله صرح بالتحديث، فيكون حديثه حجة، عون المعبود، ج١١، ص١٩٩، وحسنه الألباني، صحيح ابن ماجه، ٢٩٣٩.

(162) وردت في أحاديث أخرى لا يوجد فيها خطاب لا مجال لذكرها أن النبي -ﷺ- كان يصلي وهو حاملها، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها، البخاري، ج١، ص١٩٣، ح رقم ٤٩٤، ومسلم، ج١، ص٣٨٥، ح رقم ٥٤٣، وحديث آخر أنها أهديت إليه قلادة من جزع فقال: لأدفعنها إلى أحب أهلي إليّ، فوضعها في عنقها، وتقول عنها عائشة وأمامة بنت أبي العاص جارية تلعب في جانب البيت بالتراب، انظر مجمع الزوائد، ج٩، ص٤١٠، والمعجم الكبير، ج٩، ص٤١١، قلت والشاهد هنا صغر سنها كونها تلعب بالتراب.

أمَّا هنا فتبقى التَّوجيهات والأوامر في الأطر العامَّة من حيث الصِّدق، وتعوُّده إياه من خلال ما يشاهده وما يتعامل معه الآخرون، ويأخذ ذلك من الملاحظة، والاقتداء، ثمَّ التَّوجيه.

يقول ابن سينا: «فإذا فُطم الصَّبيُّ عن الرّضاع، بدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة، وتفاجئه الشيم الذميمة»[١٦٣].

ويحذِّر ابن سينا من عدم التَّربية في هذه المرحلة، وهو بحقّ أوَّل من سمَّاها وأطلق عليها (فترة التَّأديب)، فيقول: «فإنَّ الصَّبي تتبادر إليه مساوئ الأخلاق، وتنثال عليه الضَّرائب الخبيثة، فإذا تمكَّن من ذلك، غلب عليه فلم يستطع له مفارقة، ولا عنه نزوعاً، فينبغي لغُنْم الصَّبي أن يجنبه مقابح الأخلاق، وينكب عن معايب العادات والترهيب والترغيب، والإيناس والإيحاش، وبالاعتراض والإقبال، وبالحمد مرَّة وبالتوبيخ مرَّة أخرى ما كان كافياً»[١٦٤].

وكذلك لم تتشكَّل لدى الطفل المفاهيم الحقيقيَّة، فهو تراه لايدرك مفهوم الحلال والحرام إلا من خلال ما يتلقاه ويتدرب ممن حوله، فهو لا يعرف مثلاً ما هي العورة. ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٦٥]. وموضع الشَّاهد «أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النِّساء»؛ لأنَّ الأطفال لايميِّزون ما يميِّزه الكبار لصغرهم، ولا يعرفون ما هي العورة ولا يمِّيزون بينها وبين غيرها، وكذلك أحوال النِّساء من الكلام والزينة والحركة، فعندها يسمح بدخوله على النساء.

كما يلاحظ هنا الرِّفق في التَّوجيه وأخذه دونما تعنيف أو قسوة، وإلا صار الصَّغير مستودعاً لها، تنفجر بركاناً عندما يكبر من خلال موجات غضب يصدرها لمن حوله ولمجتمعه كما أخذها، ولذلك قالوا عنها: «لا شكَّ أن القسوة في معاملة الولد مثبطة للهمَّة، قاتلة للذَّكاء، مؤدِّية للذلِّ، باعثة على النِّفاق»[١٦٦].

وبالمقابل هذه ليست دعوة للتَّعامل مع الصَّغير بالدَّلال المفرط، عندها نخرج جيلا لا يقوى على العمل والإنتاج ومواجهة التَّحدِّيات، بل ينتظر ممَّن حوله توفير كلَّ ما

---

(١٦٣) ابن سينا، (ت٤٢٨هـ)، <u>كتاب السياسة</u>، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، ص ١٠١.

(١٦٤) جمعها هشام نشابه، <u>التراث التربوى الإسلامي في خمس مخطوطات</u>، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٨، ص٤٠

(١٦٥) سورة النور، الآية (٣١)

(١٦٦) محمد بن أحمد الصالح، مقومات التربية الإسلامية كما جاءت في الكتاب والسنة عند علماء الإسلام، <u>المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية بالقاهرة</u>، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص ١٠.

يحتاجه ويتمنَّاه.

الفرع الأوَّل: تعليم الأطفال الصِّدق في الخطاب:

عن عبد الله بن عامر(١٦٧)- رضي الله عنه – قال: «أتانا رسول الله - ﷺ- في بيتنا وأنا صبيّ، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمِّي: يا عبدالله، تعال أعطك، فقال رسول الله - ﷺ-: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً، قال: فقال رسول الله - ﷺ-: أما أنَّك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة» (١٦٨).

إنَّ الكذب آفة خطيرة تعصف بالمجتمعات وتدمِّرها، والصِّدق هو قوام المجتمعات وثباتها، وأحد دعائمها الهامَّة، وهو طمأنينة القلب، والكذب من أعظم الرّيب للقلب، فإذا كان ديدن الوالدين الكذب على أولادهم، فماذا سيكون المستقبل لهؤلاء !؟ إنَّ كذبة واحدة من الأم أو الأب كفيلة بتدمير عرش الفضائل لدى النَّاشئ، وهدم ما تمَّ بناءه.

«إنَّ الصَّغير إذا وجد أمّه مرة واحدة تكذب على أبيه، أو أباه يكذب على أمه، أو أحدهما يكذب على الجيران مرَّة واحدة، كفيلة بأن تدمِّر قيمة الصِّدق في نفسه، ولو أخذا كلَّ يوم وكلّ ساعة يردِّدان على سمعه النصائح والمواعظ والترحيبات بالصدق، مرّة واحدة يجد أمَّه أو أباه يغشُّ أحدهما الآخر، أو يغشَّان في قول أو فعل مرَّة واحدة، كفيلة بأن تدمِّر قيمة الاستقامة في نفسه، ولو انهالت على سمعه التعليمات، مرَّة واحدة يجد في أحد من هؤلاء المقرَّبين إليه نموذجاً من السَّرقة، كفيلة بأن تدمِّر في نفسه قيمة

---

(١٦٧) ولد عبد الله بن عامر على عهد النبي ﷺ، وكان ابن خمس سنين أو ست سنين يوم قبض رسول الله ﷺ:، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص٩. فعلية تكون كل التوجيهات النبوية الموجهة إليه في مرحلة ما قبل التمييز الطفولة المبكرة.

(١٦٨) أ. أخرجه أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ج٢، ص ٧١٦، ح رقم ١٤٩٩١، قال حديث قتيبه تنا الليث عن ابن عجلان أن رجلاً من موالي عبدالله بن عامر بن ربيعة حدثه عن عبد الله بن عامر وذكره.

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص ٤٤٧، ح رقم ١٥٧٤٠ من طريق الليث بن سعد عن عجلان عن مولى عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر

وأخرجه ابن أبي الدنيا، الصمت وآداب اللسان، باب ذم المداحين، ص ٢٨٧، ح رقم ٦٥٨، من طريق يحيى بن أيوب عن عجلان عن زياد مولى عبد الله عن عبد الله بن عامر وذكره.

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الشهادات، باب من وعد غيره شيئاً ومن ينته أن يفي به ثم وفي به أو لم يفي به لعذر، ج١٠، ص ١٩٨،ح رقم ٢٠٦٢٨، من طريق الليث بن سعد عن عجلان عن مولى عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر.

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي، ج١٠، ص ١٩٨، ح رقم ٢٠٦٢٩، وزاد عليها بلفظه "تعال هاك"، من طريق سعيد بن مريم، عن يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان، عن زياد مولى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عبد الله بن عامر بن ربيعه وذكره.

ب. الحكم على الحديث: رجاله ثقات إلا موالي عبد الله بن عامر لم يُسمَّ – أي مبهم- ومحمد بن عجلان: صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، تقريب التهذيب،ص٤٩٦، وقال الحاكم: أن عبد بن عامر ولد في حياته ﷺ، ولم يسمع منه. له شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود" من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة" ورجالهما ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة أنظر العراقي، المغنى عن حمل الأسفار مع الإحياء، ج٣، ص ١٣٥، وتابع الليث بن سعد حيوه بن شريح ويحيى بن أيوب وحاتم بن إسماعيل وعن يحيى بن أيوب مولى زياد، وهي عند أبن منده، من طريقه، الإصابة، ج٨، ص ١٠٢، والبيهقي، ج١٠، ص ١٦٨، ح رقم ٢٠٦٢٩، فالحديث إسناده ضعيف لإبهام مولى عبد الله بن عامر، واختلاط محمد بن عجلان ويرتقي بالمتابعات والشاهد إلى الحسن لغيره .

الأمانة، وهكذا في كلِّ القيم والمبادئ التي تقوم عليها الإنسانيَّة »[١٦٩].

«وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة في الأب المسلم والأمِّ ذات الدِّين، فإنَّ كثيراً من الجهد الذي يبذل في تنشئة الطفل على الإسلام يكون جهداً ميسَّراً، وقريب الثمرة في ذات الوقت، لأنَّ الطفل سيتشرَّب القيم الإسلاميَّة من الجوِّ المحيط به تشرُّباً تلقائيّاً، وستكون تصرُّفات الأمِّ والأب أمامه في مختلف المواقف مع بعضهما البعض ومع الآخرين نماذج يحتذى بها ويتصرف على منوالها»[١٧٠].

وقد حرص القرآن الكريم تمام الحرص على أن يكون المجتمع خالياً من الكذب، مبنيّاً على الصِّدق الفرديِّ والجماعيِّ على حد سواء؛ ليبقى المجتمع كلّه حديثه بالصِّدق، وذلك لتوفير البيئة المناسبة حول الأطفال حتى يلهجوا بالصدق، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[١٧١]، أي أدخلوا في زمرة مجمل الصادقين، وقوله تعالى: ﴿.... أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[١٧٢] ، فهما صفتان متلازمتان، التَّقوى تؤدي إلى الصِّدق في الأولى، ويؤدِّي الصِّدق إلى التَّقوى في الثانية.

لذلك حرص الإسلام على أن تكون البيئة نظيفة من الكذب بكافَّة أشكاله، فالطفل الذي يعيش في وسط لا يساعد على تكوين قيم الصِّدق والتدرب عليه يسهل عليه الكذب، خصوصاً إذا كان لديه طلاقة تعبيريَّة، ويعتبر الكذب صفة أو سلوكا مكتسبا يتعلمه النَّاشئ، وليس صفة فطريَّة.

إنَّ الخطاب الصَّادق مهمٌّ هنا كون الطفل في طور التَّشكيل والتَّأسيس؛ حتى لا ينبت نباته على الكذب والخداع، وهذا ما أراده الرسول - ﷺ- لعبد الله بن عامر وأمِّه، لذلك كان المجتمع الأوَّل مبنيّاً على دعائم قويَّة، لا كما هو الحال من المربِّيات اليوم، يكذبن على أطفالهنَّ من أجل التَّخويف والإسكات والإلهاء لهم، فيخوِّفنهم من الأساطير الخرافيَّة، كالغول، والجمل الحديديِّ وغيره؛ حتى لا يكون عندهم إلا أنفساً خائفة خائرة، لا تقوى على مواجهة، ولا تتمثل فيها شجاعة!!.

يقول الدكتور عبد الله علوان[١٧٣]: «إذا كانت التَّربية الفاضلة في نظر المربِّين تعتمد على القدوة الصالحة، فجدير بكلِّ مربٍّ مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء، أو ترغيبهم في أمر، أو تسكينهم من غضب...، فإنَّهم إن فعلوا ذلك يكونوا قد عوّدوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيِّئة على أقبح العادات وأرذل الأخلاق، ألا وهي رذيلة الكذب، عدا عن أنَّهم يفقدون الثقة بأقوالهم، ويضعف جانب التَّأثير بنصائحهم ومواعظهم»[١٧٤].

إنَّ أمَّ عبد الله بن عامر كانت صادقة مع صغيرها، فالمجتمع الذي تعيش فيه لا يعرف الكذب، فالمجتمع العربيّ كانت عاداته الكرم والشجاعة والصدق، وأراد الرسول - ﷺ-

---

[1] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج٢،ص ١١٨.

(١٧٠) المرجع السابق، ج٢، ص ١١٩.
(١٧١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(١٧٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(١٧٣) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ج١، ص ١٣٨.
(١٧٤) سبق تخريجه، ص ٢٤.

التَّأكيد على ذلك؛ حتى لا يتوهَّم واهم أنَّ فئة الأطفال هم ممَّن تقع عليهم دائرة الاستثناء من الصِّدق!.

الفرع الثاني: تعليم الصِّغار آداب الطعام.

عن عمر بن أبي سلمة - رضي الله عنه- قال: «كنت غلاماً في حجر رسول الله - ﷺ- وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله - ﷺ-: يا غلام، سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل ممَّا يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد»[١٧٥]. وقوله في حجر رسول الله - ﷺ- أي في تربيته وتحت نظره، وأنَّه يربِّيه في حضنه تربية الولد، ومعنى تطيش في الصحفة أي عند الأكل تتحرَّك إلى نواحي القصعة ولا تقتصر على موضع واحد، والصّحفة ما تشبع خمسة وهي أكبر من القصعة، والقصعة تشبع عشرة، وفي هذا الحديث بيان جملة آداب للطعام ذكرها العلماء، وهي:

١- التَّسمية.

٢- الأكل باليمين.

٣- الأكل ممَّا يليه، لأنَّ أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة، فقد يستقذره صاحبه لاسيَّما في الأمراق وشبهها، وهذا في الثريد والأمراق وشبهها، فإن كان تمراً أو أجناساً، فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه[١٧٦].

٤- غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

٥-أن يكون الطعام حلالاً في نفسه، طيِّباً في جهة مكسبه [١٧٧].

٦- أن لا يأكل متَّكئاً؛ لما له أثر سيّء على الصِّحَّة وعلى نفوس الآخرين.

٧- أن لا يعيب طعاماً قط.

٨- أن يتعلم المضغ الجيِّد؛ وذلك لسهولة الهضم وإراحة المعدة.

٩- أن لا يبادر بالطعام قبل غيره من الكبار.

١٠- عدم الاستهتار بنعمة الطعام، ولذلك ينصح قبل البدء أن يوجّه الطفل بالسؤال من خلق هذا الطعام؟! ولماذا تأكل هذا الطعام؟ فيجيبونه الله، وتأكله للتقوِّي على طاعة الله [١٧٨].

١١- الأكل بمقدار ثلث المعدة «يذمّ بين يديه كثير الأكل، ويمدح قليله» [١٧٩].

---

[١٧٥] ابن حجر، فتح الباري، ج٩، ص ٥٢٢.
[١٧٦] النووي، شرح النووي على مسلم، ج١٣، ص ١٩٣.
[١٧٧] الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الندوة، بيروت- لبنان، ط بلا، ج٢، ص٥ .
[١٧٨] أحمد القطان، واجبات الآباء نحو الأبناء، ما أعده أحمد الزين، مكتبة السندس، الدوحة، قطر، ط٣، ١٤٠٦هـ

١٢- عدم الشراهة والمغالبة في الأكل.

١٣- عدم كثرة الأكل كالبهائم[١٨٠].

١٤- لا يوالي بين اللقم.[١٨١]

١٥- لا يلطِّخ ثوبه بالطعام.[١٨٢]

١٦- القناعة بالطعام الخشن.[١٨٣]

١٧- عدم النَّفخ في الإناء.[١٨٤]

والملاحظ هنا من خلال المرويَّات السَّابقة ما يلي:

١. لفت نظر الطفل الصَّغير وتنبيهه لكلام مهمٍّ لاحق بقوله (يا غلام) من خلال غالب الرِّوايات وعند الترمذي والطبراني، (يا بني) وهما أداة النداء (يا) والمنادى (غلام، بنيّ).

٢. التَّوجيه بالملاحظة بعد التَّنبيه، وهو من التَّوجيهات المباشرة[١٨٥]، وتعتمد على نوعيَّة المخالفة التي ارتكبها الصَّغير.

٣. في مثل هذه المواقف تشمئزُّ النُّفوس، ولا تستطيع أن تضبط أعصابها في النُّصح والتَّوجيه، لكنَّ المربِّي النَّاجح هو الذي يضبط أعصابه؛ لكي تكون نصيحة ليس فيها تشنُّج أو خروج عن الأدب[١٨٦].

٤. عدم التَّعنيف بالقول للصَّغير، ولذلك قال النَّبي - ﷺ- (يا غلام سمِّ الله...)، (ادنُ يا بنيّ)، وهذه دعوة للطعام، فالصَّغير لا يصبر ولا يتمالك نفسه كالكبار.

٥. قابليَّة الصَّغير للتَّربية في هذه المرحلة، والاستفادة من جملة الإرشادات، والدَّليل قول عمر بن أبي سلمه:«فما زالت تلك طعمتي بعد»، بينما الكبير يصعب تعديل سلوكه.

٦. الأكل مع الصِّغار، وليس عزلهم على آنية منفصلة؛ حتَّى يكتسب الآداب من الكبار، وعدم الترفُّع عن ذلك، والصَّبر والاحتمال والالتفات إلى الأسلوب المناسب من حيث إحاطته بطائفة من التَّوجيهات المفيدة، عدا عن القدوة العمليَّة أمامه.

---

(١٧٩) انظر الغزالي،احياء علوم الدين، ج٢، ص ص ٥-١٢.

(١٨٠) انظر المصدر السابق، ج٢، ص ص ٥-١٢.

(١٨١) المصدر السابق، ج٢، ص ص ٥-١٢

(١٨٢) المصدر السابق، ج٢، ص ص ٥-١٢

(١٨٣) المصدر السابق، ج٢، ص ص ٥-١٢

(١٨٤) المصدر السابق، ج٢، ص ص ٥-١٢

(١٨٥) محمد سعيد المولوي، المربى محمد التربية النبوية، شمولها وأهدافها وطرائقها، مكتبة دار العروبة- الكويت ط٣، ١٤٠٩/١٩٨٩هـ، ص ١٠٠.

(١٨٦) يوسف الصوري، أساليب الرسول في الدعوة والتربية، طباعة صندوق التكافل، ص ٥٥.

٧. يبدأ المربِّي في هذه المرحلة بتعويده على الأكل منفرداً دون مساعدة، ويكتفي بالتَّوجيه، فلم يقم النَّبي بإطعامه بل بتوجيهه، فهو في هذه المرحلة يحاكي الآخرين بتصرُّفاته، عدا عن المتعة في تناوله الطعام من يده بمفرده.

الفرع الثالث: توجيه الصِّغار لتحرِّي المطعم الحلال، ومنعهم ممَّا يضرُّهم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «أخذ الحسين بن علي- رضي الله عنهما - تمرة من تمر الصَّدقة فجعلها في فيه، فقال النَّبي - ﷺ- كخ كخ، ليطرحها، ثمَّ قال: أما شعرت أنَّا لا نأكل الصَّدقة »[١٨٧].

قوله: (كخ كخ) بكسر الكاف وفتحها، واللفظة الثانية توكيد للأولى، وهي كلمة تقال لردع الصَّبي عند تناوله ما يستقذر، وقيل بأنَّها معرَّبة، وأوردها البخاري في باب من تكلَّم بالفارسيَّة رغبة تأديب الأطفال بما ينفعهم، ومنعهم ممَّا يضرّهم ومن تناول المحرَّمات وإن كانوا غير مكلَّفين؛ ليتدرّ ّ َبوا بذلك. وقوله(أما شعرت)، وعند مسلم أما علمت، فهو شيء يقال عند الأمر الواضح وإن لم يكن بذلك عالما، أي كيف خفي عليك هذا مع ظهوره، وهو أبلغ في الزَّجر من قوله لا تفعل.[١٨٨]

ويحتمل أنَّ الحسن كلَّمه النَّبي - ﷺ- أوَّلاً، فلمَّا تمادى نزعها من فيه، وبعض الرِّوايات نزعها بلعابها[١٨٩]، وبذلك نجمع بين الروايات.

«وتحرِّي الأب للحلال في مأكل ومشرب أولاده وأهله هو إنقاذ لهم من النَّار، وحماية لهم من الضَّلال والهلاك، فإنَّ ما يتغذى به الإنسان من الأطعمة والأشربة له تأثير على بدنه وروحه، فالرَّسول - ﷺ- لا يعفو حتَّى عن تمره واحدة تقع في جوف ابن ابنته، فكيف بالطعام الكثير؟! » [١٩٠].

([١٨٧]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ، ج٢، ص ٥٤٢، ح رقم ١٤٢٠، قال حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن زياد قال سمعته أبا هريرة رضي الله عنه وذكره. وأخرجه البخاري أيضا، كتاب الزكاة، باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل، وهل يترك الصبي فيمس تمر الصدقة، ج٥٤١، ج رقم ١٤١٤.من طريق ابراهيم بن طهمان عن محمد بن زياد عن أبي هريرة.

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ، د٢، ص ٧٥٦، ح رقم ١٠٦٩، بلفظ (كخ كخ ارم بها).

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص ٢٧٩، ح رقم ٧٧٤٤، من طريق معمر بن راشد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ" فأدخل النبي ﷺ يده فانتزعها منه".=

=وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص٤٠٦، ح رقم٩٢٥٦، من طريق حماد بن سلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ" فإذا هو يلوك تمرة فحرك خده وقال ألقها يا بني".

وأخرجه النسائي، السنن الكبرى، كتاب السير، باب رطانة العجم، ج(، ص ١٩٤، ح رقم ٦٦٤٥بلفظ " أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة " كلاهما من طريق شعبة عن محمد بن زياد القرشي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([١٨٨]) ابن حجر، فتح الباري، ج٣، ص ٣٥٥.

(١٨٩) انظر ابن حجر،فتح الباري، ج٣، ص ٣٥٥.

([١٩٠]) عدنان با حارث، مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، دار المجتمع، ط٦، ١٩٩٧م، ص ٣٦٥.

أمَّا الأسلوب الذي اتَّبعه مع الحسن فقد تمثل فيما يلي:

١- استعمل معه الخطاب المباشر، وهذا ما يناسب المرحلة.

٢- كرَّر اللفظة (كخ) مرَّتين للتَّوكيد ولإثبات المعلومة في ذهن الحسن- رضي الله عنه-.

٣- كان كلامه موجزاً، ففي الجملة الأولى كلمة مكرَّرة مرَّتين، والجملة الأخرى مكوَّنة من ستِّ كلمات على صيغة استفهام إنكاري.

٤- عند الشروع بنزع التَّمرة بيده - ﷺ- بعد اللفظ، بيَّن سبب نزع التَّمرة من فيه بقوله:
«أما علمت أنّا لا نأكل الصَّدقة»؛ لكي يبيِّن له عدم تحلَّة أكل مال الصَّدقات، وهذا من قبيل تبرير الفعل أو التصرُّف.

٥- كان هذا الفعل بحقِّ الحسن، وهو غير مكلف بتدريبه وتعليم غيره ممَّن كانوا يحضرون المشهد ممَّن يأتون بأموال الصدقات.

٦- إنَّ الأسلوب فيه ردع وزجر هنا عندما يتعلَّق الأمر بتناول شيء من المحرَّمات.

المطلب الثالث: رعاية الصِّغار والمحافظة على صحَّتهم.

من المهمِّ هنا أن ينشأ الصِّبيان على صحَّة قويَّة، قادرة على تحمُّل تبعات الاستخلاف في الأرض وعمارتها، والقيام بالعبادات مستقبلاً، وهذه كلُّها تحتاج إلى جسم قويٍّ صحيح البنية، ومن أجل ذلك لا بدَّ من الاعتماد على نظام غذائيٍّ جيِّد، واتِّباع القواعد الصحيحة له، وكذلك أوجب الإسلام التَّداوي عند الإصابة بالأمراض، وأمر بالوقاية والتحرُّز من الأمراض المعدية، وكذلك الالتجاء إلى الله تعالى بالدُّعاء؛ لأنَّه وحده هو الذي يضع الدَّاء، وهو من أوجد الدواء، وهو من يرفع البلاء.

يقول الأستاذ أحمد رجب الأسمر: «لا أبالغ في القول إنَّ العادات والممارسات الصحِّية التي يتمسَّك بها الإنسان إنَّما غرست ابتداء في مرحلة الطفولة الأولى، العناية بالنظافة، والأسلوب السَّليم للجلوس والمشي والنَّوم والأكل والشُّرب واللِّباس، ومراعاة قواعد الأمن والسَّلامة، ولفظ العادات السَّيِّئة كالتَّدخين وتلافي المحرمات كالخمور والمخدرات، إنَّما للتَّربية الأولى التأثير الأعمق فيها» (١٩١).

ولا بدَّ أيضاً من المحافظة على التَّغذية الجيِّدة، وإمداد الجسم بالفيتامينات والبروتينات اللازمة لبناء الجسم والمنشِّطة للذاكرة والذكاء؛ لأنَّ نقص بعضها يؤدِّي إلى خلل أو عاهة في الجسم من جهة، والمحافظة على المحضن ليكون صحيح النَّفس بعيداً عن العقد من جهة أخرى، ولقد أجريت دراسات وإحصاءات ليفرِّقوا فيه بين من عاش في الملاجئ وبين من عاش في حضن الآباء والأمهات ودفئ العاطفة، «فوجدوا فرقاً شاسعاً

---

(١٩١) أحمد رجب الأسمر، النبي المربي، دار الفرقان، ط/١٤٢٢،١هـ - ٢٠٠١م، ص٢٠٢.

فـي صـحَّتهم وتصـرفاتهم، فقـد وجـد أنَّ معظـم الأطفـال مـن النَّـوع الأوَّل قـد أصـيبوا بالأمراض النفسيَّة، والاضطرابات العصبيَّة، والنَّقص في النُّموِّ في ناحية من نـواحي النُّموِّ أو كلِّها»[١٩٢].

النَّوع الأوَّل: الاستطباب والاسترقاء والتَّعويذ للأطفال.

عن السَّائب بن يزيد - رضي الله عنه - قال: «ذهبتْ بي خالتي إلى رسول الله - ﷺ- فقالت: يا رسول الله، إنَّ ابن أختي وقعٌ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضَّأ فشربت من وضوئه، ثمَّ قمت خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النُّبوَّة بين كتفية»[١٩٣]. ووقع أي وجعٌ[١٩٤]، وتبيِّن الصُّورة حرِّية حركة الطفل، وخصوصاً إذا كان مريضاً، حيث كان يجول حول النَّبيِّ - ﷺ-، وينظر إلى كتفه، ويشرب من وضوءه دونما زجر أن نهر أو جبر على سلوك ما، مع مصاحبة المسحات اللطيفة من يد النَّبيِّ الشَّريفة، والدَّعوات المباركات من فمه الطاهر.

وكان النَّبيُّ - ﷺ- يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «إنَّ أباكما كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التَّامَّة، من كلَّ شيطان وهامَّة، ومن كـلِّ عين لامَّة» [١٩٥].

ويعوِّذ من التَّعويذ: وهو الالتجاء والاستجارة، والتامَّة: الكاملة في فضلها وبركتها ونفعها، وهامَّة: كلّ حشرة ذات سمّ، وقيل مخلوق يهمّ بسوء، لامَّة: العين التي تصيب بسوء وتجمع الشرَّ على المعيون، وقيل هي كلُّ داء وآفة تلمُّ بالإنسان[١٩٦].

وعن محمَّد بن حاطب - رضي الله عنهما - قال: «تناولت قدراً لأمِّي فاحترقت يدي، فذهبتْ بي أمِّي إلى النَّبيِّ - ﷺ-، فجعل يمسح يدي، ولا أدري ما يقول، أنا أصغر من

---

[١٩٢] أشلي موناجيو، كيف تساعد الأطفال على تنمية قيمهم الخلقية، ترجمة سامي علي الجمال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٥، ص ٦٠.

[١٩٣] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب استعمال فضل وضوء الناس، ج١، ص٨١، ح رقم١٨٧، وكتاب المناقب، باب: خاتم النبوة، ج٣، ص ١٣٠١، ح رقم ٣٣٤٨، وكتاب المرض، باب من ذهب بالصبي، المريض ليدعى له، ج٥، ص ٢١٤٦، ح رقم ٥٣٤٦، وكتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة، ج٥، ص ٢٣٣٧، ح رقم ٥٩٩١، قال حدثنا عبد الرحمن بن يونس، قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن الجعد، قال سمعت السائب بن يزيد يقول وذكره.

وأخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كنية النبي ﷺ، ج٣، ص ١٣٠١، ح رقم ٣٣٤٧، عن اسحق بن ابراهيم عن الفضل عن الجعيد عنه ولفظه" قال رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلداً معتدلاً، فقال: قد علمت ما متعت به سمعي وبصري، إلا بدعاء رسول الله ﷺ، إن خالتي ذهبت بي إليه، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي شاك فادع الله له، قال فدعا لي ﷺ.

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة وصفته، ج٤، ١٨٢٣، ح رقم ٢٣٤٥.

من طريق حاتم بن اسماعيل عن الجعد أو الجعيد بن عبد الرحمن عنه.

[١٩٤] ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ٥٦٢.

[١٩٥] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب { يزفون } / الصافات ٩٤ / النسلان في المشي، ج٣، ص ١٢٣٣، ح رقم ٣١٩١ قال حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور بن منهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكره.

وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القرآن، ج٢، ص ٦٤٨، ح رقم ٤٧٣٧.كلاهما من طريق منصور عن المنهال بن عمرو الأسدي، عن سعيد بن جبير عن إبن عباس.

[١٩٦] انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج٦، ص ٤١٠.

ذلك، فسألت أمِّي، فقالت: كان يقول: أذهب البأس ربَّ الناس، واشف أنت الشَّافي، لا شفاء إلا شفاؤك»[١٩٧].

وهذا الحديث فيه توجيه إلى عدم ترك الصِّغار في هذه المرحلة لطلب الحاجة إلا بوجود معيل يراعي حركاتهم، ويبعدهم عن مصدر الخطر.

«والبعض يرى أنَّ الطفل لا يدرك مسألة الصَّواب والخطأ إلا في الثانية من عمره» [١٩٨].

وعليه يكون الإسلام قد اهتمَّ بصحَّة الإنسان عامَّة والطفل خاصَّة، وحرص على سرعة المداواة للطفل، ويكون قد انفرد بالرُّقية لعلاج الأطفال، وحثّ الوالدين على فعلها.

الفرع الثاني: رعاية الصِّغار عند المصائب.

عن عبد الله جعفر أنَّ النبي - ﷺ- أرسل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثمَّ أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم»، ثمَّ قال: «ادعوا لي بني أخي»، فجيء بنا كأنَّا أفرخ، فقال: « ادعوا لي الحلاق»، فأمره فحلق رؤوسنا» [١٩٩].

---

(١٩٧) أ.التخريج:
أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٤، ٢٧٩، ح رقم ١٨٣٠٢، قال ثنا أبو أحمد ثنا إسرائيل عن سماك عن محمد بن حاطب وذكره، وأخرجه أيضا ج٤، ص ٢٥٩، ح رقم ١٨٣٠٣ بزيادة لفظ (فورمت)، وأخرجه أيضاً ج٤، ص ٢٥٩، ح رقم ١٨٣٠٧، بزيادة وكان يتفل فيها.
وأخرجه ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبى شيبه، كتاب الطب، باب من رخص في النفث في الرقى، ج٦، ص ٤٥، ح رقم ٢٣٥٦٢،
وأخرجه النسائي، سنن النسائى الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا ناداه، ج٦، ص ٥٥، ح رقم ١٠٠١٥، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول على الحريق، ج٦، ص ٢٥٤، ح رقم ١٠٨٦٤.
وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج١٩، ص ٢٤٠، ح رقم ٥٣٨ وكذلك ج١٩، ص ٢٤١، ح رقم ٥٤٠، وكذلك ج٢٤، ص ٣٦٤، ح رقم ٩٠٣.
أربعتهم من طرق عن سماك بن حرب عن محمد بن حاطب.
وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص ٤١٨، ح رقم ١٥٤٩١، بلفظ "أقبلت بك من أرض الحبشة، حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طبيخاً ففني الحطب، فخرجت أطلبه فتناولت القدر، فانكفأت على ذراعك فأتيت بك النبي... فما قمت بك من عنده حتى برأت يدك
وأخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الجنائز، باب المريض وما يتعلق به.
وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٤، ص ٣٦٣، ح رقم ٩٠٢
وأخرجه الحاكم، المستدرك، ج٤، ص ٧١، ح رقم ٦٩٠٩، وأربعتهم من طريق عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم، عن أبيه عن جده محمد بن حاطب عن أمه أم جميل بنت المجلل.
ب- الحكم على الحديث: قال عنه الهيثمي في المجمع رواه أحمد ورجالهما رجال الصحيح، ج٥، ص ١٩٤.
الطريق الأول: فيه سماك بن حرب صدوق، ثقة، الجرح التعديل، ج٤، ص ٢٧٩، وذكره ابن عدي في الضعفاء، وقال صدوق لا بأس به: الكامل في الضعفاء، ج٣، ص ٤٦١.
فالإسناد من طريق سماك بن حرب حسن.
والطريق الثاني: من طريق عبد الرحمن بن عثمان، قال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث يهولني كثرة ما يسند، الجرح والتعديل، ج٥، ص ٢٦٤، وقال الذهبي عنه، " له ما ينكر"، ج٣، ميزان الاعتدال، ج٣، ص ٣٠، أما ابن حبان فقد ذكره في الثقات، ج٨، ص ٣٧٢، وعليه هذا الإسناد فيه مقال، إلا أنه صالح لتقوية الإسناد الأول، فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.
(١٩٨) أحمد السيد يونس، طفلك في عامه الثامن، دار الكتاب الحديث، الكويت، ص ٦٥.
(١٩٩) أ. التخريج- أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الترجل، باب في حلق الرأس، ج٢، ص ٤٨٢، ح رقم ٤١٩٢، قال حدثنا عقبة بن مكرم وابن المثنى، قالا ثنا وهب بن جرير ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي

ثلاثاً: أي ثلاث ليالٍ وهو المناسب لظلمات الحزن، وفيه دلالة على أنَّ البكاء والحزن على الميِّت من غير ندبة ونياحة جائز ثلاثة أيام.

على أخي: يعني جعفر.

بعد اليوم: أي هذا اليوم.

ادعوا لي: أي لأجلي بني أخي، وهم عبد الله وعون ومحمد أولاد جعفر.

كأنَّا أفرخ: جمع فرخ وهو صغير ولد الطير، ووجه التشبُّه أن شعرهم يشبه زغب الطير وهو أوَّل ما يطلع من ريشه، وإبقاء الشعر أفضل إلا بعد فراغ أحد النسكين، لما رأى من اشتغال أمّهم أسماء بنت عميس عن ترجيل شعورهم بما أصابها من قتل زوجها في سبيل الله، فاشفق عليهم من أجل النظافة[٢٠٠].

وفي ذلك إشارة إلى حسن الاعتناء بالصغار، والالتفات لهم ولصحَّتهم ونظافتهم، وعدم إهمالهم ليستولي عليهم الحزن والحداد على الميِّت أكثر ممَّا ينبغي، فيأسر قلوبهم ويبقون.

المطلب الرَّابع: اللعب والمزاح مع الصِّغار

لقد راعت الشريعة الإسلاميَّة اللعب مع الصِّغار، ودوره الإيجابيِّ في نموِّهم النفسيِّ والجسميِّ والعقليِّ والوجدانيِّ السَّليم، وشجَّع القرآن الكريم والسنَّة المشرَّفة على توفير جوِّ المرح واللعب الإيجابيِّ للأطفال في هذه المرحلة، ويمارسه صلوات الله وسلامه عليه معهم في هذه المرحلة، وكان يضاحكهم، ويمازحهم، ويلعب معهم، ويدخل السُّرورَ عليهم.

يعقوب يحدث عن الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر وذكره.

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ٢٠٤، ح رقم ١٧٥٠، وذكر استشهاد الثلاثة وزاد عليه فحلق رؤسنا ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ثم أخذ بيدي فأشالها فقال: اللهم اخلف جعفراً في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه، قالها ثلاث مرات، قال فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا وجعلت تفرح له فقال العيلة تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة.

وأخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب الزينة، باب حلق رؤوس الصبيان، ج٨، ص ١٨٢، ح رقم ٥٢٢٧.

وأخرجه النسائي، سنن النسائى الكبرى، كتاب السير، باب إذا فتل صاحب الراية هل يأخذ الراية غيره بغير أمر الإمام. ج٥، ١٨٠، ح رقم ٨٦٠٤، وكتاب الزين، باب حلق رؤوس الصبيان، ج٥، ص ٤٠٧، ح رقم ٩٢٩٥.

وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج٢، ص ١٠٥، ح رقم ١٤٦١، وجميعهم من طريق وهب بن جرير السابق ذكره

ب. الحكم على الحديث: قال عنه الهيثمي في المجمع، رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح،ج٦، ص ٢٣٠.

وذكره الألباني في مشكاة المصابيح بالصحيح، ج٢، ص ٥١١ .ورجال أبو داود نفس رجال أحمد. وقال عنه شعيب الأرنأوط، إسناده صحيح على شرط مسلم، معلقاً على مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص ٢٠٤، فالحديث صحيح الإسناد.

(٢٠٠) أنظرالعظيم أبادي، عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج١١، ص ١٦٤.

فلا غرابة أن نجد لفظ اللعب وما اشتقَّ منه في القرآن الكريم، وورد في أكثر من خمسة عشر موضعاً، فقد ذكر اللعب مع اللهو في خمسة مواضع (الأنعام مرتان الآيات ٣٢، ٧٠، والعنكبوت،٦٤، ومحمّد ٣٦، والحديد ٢٠) وتقدم فيها اللعب على اللهو إلا في موضع واحد تقدم فيه اللهو على اللعب في سورة العنكبوت.

وذكر الخوض مع اللعب في أربعة مواضع، وقدّم الخوض على اللعب فيها جميعاً في سور (الزُّخرف٨٣، والمعارج٤٢، والأنعام ٩١، والطُّور١٢)، وأفردها في ستَّة مواضع في سور (الأنبياء٥٥، والدخان مرَّتان٩، ٣٨، ويوسف ١٢، والأعراف ٩٨، والأنبياء ٢).

وذكرت في حقِّ المكلفين في بيان الانشغال بالدنيا والابتعاد عن الآخرة على سبيل الذمِّ، أمَّا في سورة يوسف، فقد ذكرت على سبيل المدح بحقِّ الأطفال إذا كانت البيئة جيِّدة، (ﭙ) بكل ما تحتويها اللفظة من خصوبة!!(ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ □)(٢٠١)، وقرن اللعب أيضاَ بحفظ الأطفال؛ لأنَّ الأطفال أحياناً يلعبون بما يضرُّهم إذا تركوا من غير إرشاد وتوجيه، وخصوصاً في مرحلة الطفولة المبكِّرة.

ولا غرابة أيضاً أن نجد صاحب اللسان يقول: «واللعب مشتقٌّ من اللعاب، وهو ريق الصَّبي السَّائل، ثمَّ يقول أيضاَ: وهو قول أو عمل فيه خفَّة وسرعة، وغايته إراحة البال، وتقصير الوقت، واستجلاب العقول في حالة ضعفها، وتعقُّل الصَّغير، وعقل المتعب، وأكثره أعمال الصبيان، ويقول : واللعب ضدُّ الجدّ » (٢٠٢).

إذن يلتقي التَّفسير اللغويُّ مع منطوق القرآن الكريم بالتركيز على فئة الصبيان وكأنَّهم هم المقصودين وحدهم باللعب، لا بل اشتقاق مادَّة اللعب من لعاب الصبيان...

وقد قال العلامة الغزالي قديماً: «ويعود في بعض النَّهار المشي والحركة والرياضة؛ حتى لا يغلب عليه الكسل» (٢٠٣).

ويقول العلماء بأنَّ اللعب في مرحلة الطفولة «هو مهنة الطفل التي يعبِّر فيها عن نفسه وكيانه، ويفهم عن طريقها الوجود والبيئة من حوله» (٢٠٤).

ولذلك فلا يضجر أحدٌ من لعب الأطفال ونشاطهم وحركاتهم وتعبيراتهم التِّلقائيّة لانتصار لعبهم على لعب زملائهم؛ لأنَّهم بذلك يعبِّرون عن ذواتهم، بل لابدّض من مساعدتهم بتشكيل مجموعات لعب يشترك فيها الأطفال؛ حتى يدركوا قواعد التَّعامل مع الآخرين، وضبط سلوكهم بسواهم من خلال المعاملة بالمثل.

---

(٢٠١) سورة يوسف الآية (١٢).

(٢٠٢) انظر، بن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٧٣٩

(٢٠٣) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، ج٣، ص ٧١

(٢٠٤) حامد زهران، التوجيه والارشاد النفسي، ص ٣٤٨

فقد أثبتت الدِّراسات والأبحاث «أنَّ الأطفال الذين تكون لديهم الإمكانات والفرص للّعب تنمو عقولهم نموّاً أكثر وأسرع من غيرهم، ممَّن لم تتح لهم هذه الفرص وتلك الإمكانات»(٢٠٥).

وكذلك يعتبر اللعب وسيلة علاجيَّة بدنيَّة، ونفسيَّة انفعاليَّة «إنَّ اللعب وخاصَّة اللعب الإيهامي يقدِّم للأخصَّائيِّين فرصة آمنة للكشف عن الصِّراعات الانفعاليَّة دون أن يكون للكبير في هذه المواقف أي تدخُّل، كذلك يساعد اللعب على تشكيل مواقف تعليميَّة علاجيَّة يمكن أن يكتسب فيها الطفل مهارات سلوكيَّة جديدة تساعده على إعادة التكيُّف» (٢٠٦).

وبما أنَّ هذه المرحلة يكون الطفل فيها قد تنوَّعت ميوله ورغباته، فلا بدَّ من تلبيتها من خلال اللعب، تقول ميلر: «وبعد سنِّ الثانية تكون مناشط الطفل أكثر تنوُّعاً»(٢٠٧).

ولذلك جاء الإسلام ليعتبر اللعب وسيلة لبناء الشخصيَّة المتكاملة في الأمور التالية (٢٠٨):

١. اعتبر الإسلام اللعب حقّاً من حقوق الطفولة، ووسيلة من وسائل التَّربية.

٢. اللعب يريح الطِّفل، ويدخل عليه السعادة والسرور.

٣. اللعب هو المجال الطبيعيّ لتنمية قوى الأطفال النفسيَّة، والعقليَّة، والجسديَّة، والاجتماعيَّة.

٤. اللعب قد يكون لتصريف الطَّاقة، أوللاسترخاء، أولاختبار القدرات والمهارات، أوالإعداد للحياة.

٥. ينبغي ألا يكون اللعب شاقاً يتطلب من الطفل جهداً فوق طاقته، أو يحدث له ألماً.

٦. لكلِّ مرحلة من مراحل العمر ألعابها الخاصَّة بها، فهو في الطفولة المبكِّرة (قبله، أومداعبة يدويَّة أو لفظيَّة، أو حملاً على الظَّهر).

الفرع الأوَّل: مزاح النَّبيِّ ﷺ مع الحسين - رضي الله عنه-.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: « كان النَّبيُّ - ﷺ- يدلع لسانه للحسين فيرى الصبيُّ حمرة لسانه فيهش إليه، فقال له عيينة بن بدر: ألا أراه يصنع هذا بهذا فوالله

---

(٢٠٥) كمال درويش ومحمد الحماحمي، التروبج وأوقات الفراغ في المجتمع المعاصر، مركز البحوث التربوية النفسية، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ، ص ص٨٧- ٨٨،

(٢٠٦) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٩٩ يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، جمدي الآخرة، ١٤٠٦هـ - آذار ١٩٨٦م ص ص ٣٠٥-٣٠٦

(٢٠٧) سوزانا ميلر، سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى،سلسلة عالم المعرفة، عدد١٢٠، الكويت، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م، ص١٢٩ .

(٢٠٨) انظر: أحمد حسن حنورة، ألعاب ما قبل المدرسة، مكتبة الفلاح، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص ص٥١- ٥٢

إنَّه ليكون لي الولد قد خرج وجهه وما قبَّلته قطّ، فقال النبي ﷺ: من لا يرحم لا يرحم» [٢٠٩].

ومعنى أنَّه كان يدلع لسانه للحسين بن علي-رضي الله عنهما- فإذا رأى حمرة لسانه يهش إليه يقال: يهش للإنسان إذا نظر إلى الشيء فأعجبه واشتهاه وأسرع نحوه[٢١٠]، ومعنى يدلع: يخرج[٢١١].

إنَّ هذا الحديث بحقِّ عيينة بن بدر، والحديث الوارد في مسلم بحقِّ الأقرع بن حابس الذي كان له عشرة من الأبناء ولم يقبِّل أحدا منهم، فكان جواب الرسول ﷺ له: «من لا يرحم لا يرحم». إنَّ حسن خطاب الفئة العمريَّة، وحسن جذبهم بمدِّ اللسان وتبيان الحمرة ليأتوا إليه ويحاولون مسك اللسان، ومنهم الحسين وكل الأطفال الذين يرونه، وعدم العبوس والصُّراخ في وجوههم هو فعل الرسول ﷺ، لا كما يصنع الرِّجال اليوم في المساجد والطرقات والبيوت، فتلك الفئة قد نزع الله الرَّحمة من قلوبهم تجاه الصِّبيان، وعلامة الرَّحمة التَّقبيل، والتَّصابي لهم، والمزاح معهم، كما فعل رسول المحبَّة والرَّحمة - صلوات ربي وسلامه عليه-.

الفرع الثاني: ملاعبة الرَّسول ﷺ للحسين بن علي- رضي الله عنهما-.

عن يعلى بن مرَّة - رضي الله عنه - حدثهم «أنَّهم خرجوا مع النَّبيِّ ﷺ إلى طعام دعوا إليه، فإذا حسين يلعب في السكة، قال: فتقدَّم النبي ﷺ أمام القوم وبسط يديه، فجعل الغلام يفرُّ هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي - ﷺ- حتى أخذه فجعل يده تحت ذقنه، والأخرى في فأس رأسه، فقبَّله وقال: حسين منِّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط» [٢١٢].

([٢٠٩]) أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حيان، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم باب ذكر ملاعبة المصطفى ﷺ للحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما، ج١٥، ص ٤٣١، ح رقم ٦٩٧٥، قال أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا وهب بن بقية أخبرنا خالد ابن عبد الله عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة وذكره.

وأخرجه ابن حبان أيضاً، صحيح ابن حبان، ذكر إباحة ملاعبة ولده وولد ولده، ج١٢، ص ٤٠٨، ح رقم ٥٥٩٦، من طريق محمد ابن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف عن وهب بن بقية.

ب- الحكم على الحديث: في إسناده محمد بن عمرو بن علقم بن وقاص الليثي، صدوق له أوهام، تقريب التهذيب، ج١، ص ٤٩٩، وذكره ابن حبان بأنه كان يخطئ، الثقات، ج٧، ٣٧٧.

وذكره الخطيب في المبهمات، قولين في قائل ذلك أحدهما أنه عيينة بن حصن، والثاني أنه الأقرع بن حابس، تخريج أحاديث الأحياء، ج٣، ص ٩١.

وذكره الألباني في السلسلة الصحيحية بالحسن، ج١، ص ١٥١، ح رقم ٧٠.فالحديث إسناده حسن لوجود محمد بن عمرو بن علقمة.

([٢١٠]) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص ٤٣٨.

([٢١١]) ابن الجوزي، غريب الحديث، ص ٩٣.

([٢١٢]) التخريج :- أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مقدمة الكتاب، باب فضل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ج١، ص ٥١، ح رقم ١٤٤، قال حدثنا يعقوب بن حميد كاسب، حدثنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن أبي راشد، أن يعلي بن مرة حدثهم وذكره.

وأخرجه ابن أبي شيبه، مصنف أبن أبي شيبه، ج٦، ص ٣٨٠، ح رقم ٣٢١٩٦.

وأخرجه احمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل،ج٤،ص١٧٢،ح رقم ١٧٥٩٧

وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٥،

وقوله فأس رأسه: هو الطرف المشرف على القفا[٢١٣]، والسّبط: هي أمَّة من الأمم في الخير، والأسباط في أولاد إسحاق بن إبراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، والسّبط يطلق أيضاً على ولد الولد وعلى ولد البنت[٢١٤].

إنَّ الحركات المفعمة بالحيويَّة أمام الأطفال وأمام الأصحاب، ونزول المصطفى - ﷺ- لمستوى الأطفال مجاراة لهم، لا يحطُّ من قدره الشريف أوَّلا، ثمَّ أسلوب بسط اليدين للمسك مع الحسين باسلوب المسك والمطاردة هو أسلوب يحبِّذه الصِّبيان في تلك المرحلة ثانيا!!. ثمَّ ترك الحسين يفرُّ هاهنا وهاهنا مع إطلاق الضحكات التلقائيَّة من القائد والتِّلميذ فيه تربية على قوَّة الجسد، وترويح عن النَّفس ثالثاً. ثمَّ أسلوب المسك المتَّزن غير المؤذي للعنق والرأس، بأن مسكه من تحت ذقنه ومن مؤخرة رأسه بما في المسك من رقَّة وحنان وتثبيت وحنوٍّ رابعا. ثمَّ إطلاق الكلمات التي تدل على القرب من قلب الحسين، والتي كان يردِّدها دائماً مع الأطفال وخصوصاً مع أحفاده خامساً.

إنَّ الخطاب المناسب المؤثر هو ما كان بعد مشهد متحرِّك، وكلُّ خطاب يرافق تحريك حواسٍّ أكثر، يكون أكثر فعاليَّة، ويؤدِّي غرضه المنشود.

الفرع الثالث: حمل الحسن - رضي الله عنه - على الظهر.

ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((كان رسول الله - ﷺ- حاملا الحسن بن علي على عاتقه، فقال رجل: نعم المركبُ ركبت يا غلام، فقال النبي - ﷺ-: ونعم الراكب هو)) (٢١٥).

ص ٦٥٨، ح رقم ٣٧٧٥، مقتصراً على آخره ولم يذكر القصة.

وأخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، إخباره عن مناقب الصحابة، ج١٥، ص ٤٢٧، ح رقم ٦٩٧١.

وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٢، ص ٢٧٤، ح رقم ٧٠٢، وج٣، ص ٣٣، ح رقم ٢٥٨٩.

وأخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أول فضائل الحسين بن علي رضي الله عنه، ج٣، ص ١٩٤، ح رقم ٤٨٢.جميعهم من طريق عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري، الأدب المفرد، حسن الخلق، باب معانقة الصبي، ص ١٣٣، ح رقم ٣٦٤، من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح الحضري، عن راشد بن سعد، عن يعلى بن مرة رضي الله عنه.

ب. الحكم على الحديث:

الطريق الأول: فيه يحيى بن سليم الطائفي صدوق سيء الحفظ، تقريب التهذيب،ج١، ص٥٩١، وعبد الله بن عثمان بن خيثم، صدوق تقريب التهذيب، ج١، ص ٣١٣.

في الطريق الثاني: البخاري في التاريخ الكبير، خالف فيه الروايات الأخرى في تسمية سعيد بن راشد، وقال راشد بن سعد فرجح الأخير وذكر أنه أصح، ج٨، ص ٤١٥، قال الألباني معقباً راشد بن سعد ثقة اتفاقا ومن دونه من رجال الصحيح، وفي عبد الله بن صالح كلام لا يضر هنا إن شاء الله تعالى، سلسلة الأحاديث الصحيحية، رقم ١٢٢٧.

قال الترمذي عنه في السنن هذا حديث حسن، ج٥، ص ٦٥٨.

وصححه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ج٣، ص ١٩٤، وقال عنه البوصيري في مصباح الزجاجة، هذا إسناد حسن ورجاله ثقات، ج١،ص ٧٤، فالحديث من الطريق الأول ضعيف لسوء حفظ يحيى بن سليم الطائفي،أما الطريق الثاني فإسناده صحيح لترجيح البخاري بأنه راشد بن سعد.

(٢١٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٣، ص ٤٠٥

(٢١٤) انظر المصدر السابق، ج٢، ص، ٣٣٤.

وهذا ما يسمَّى باللعب الإيهاميِّ؛ لأنَّ الصَّغير يتوهَّم بأنَّه يركب حصاناً أو جملا لمقدرته على التخيُّل الواسع والخصب، كأن يتخيَّل عندما يركب عصا يجرَّها بأنَّه يركب حصاناً أو جملا ... وهكذا.

وهذا الفعل يناسب المرحلة من خطاب والعاب وتخيُّلات، ويعمل على تحقيق رغبات كلِّ مرحلة، ويلفت الرَّجل النَّظر الى أنَّ محور الخطاب والحديث هو الحسن وليس هو، فقد كان يركِّز على شخصيَّة الرسول - ﷺ- فلفت نظره إلى أنَّ الرَّاكب، وهو الحسن، هومحور الخطاب، وقد كان كذلك، وكلُّ ذلك تكريماً للطفولة، ولشخصيَّة الحسن القادمة، وما ستقدِّمه هذه الشخصيَّة لوحدة الأمَّة، وأنَّ أطفال اليوم هم رجال وقادة المستقبل.

الفرع الرابع: ملاطفة الصِّغار، ومجُّ الماء في وجوههم.

عن محمود بن الرَّبيع - رضي الله عنه- قال: «عقلت من النَّبيِّ ﷺ مجَّة مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو»[٢١٦].

وعقلت: أي حفظت، والمجّ: هو إرسال الماء من الفم، وقيل لا يسمَّى مجّاً إلا إن كان على بعد، وفعله النَّبيُّ ﷺ مع محمود بن الرَّبيع، إمَّا مداعبة منه، أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصَّحابة، وتوفِّي النَّبيُّ ﷺ وعمر محمود بن الربيع خمس سنين، فأفادت هذه الرِّواية أنَّ الواقعة التي ضبطها كانت في آخر سنة من حياة النَّبيِّ ﷺ (٢١٧).

وقال النووي أيضاً: قال العلماء: المجُّ: طرح الماء من الفم بالتزريق، وفي هذا ملاطفة الصِّبيان، وتأنيسهم، وإكرام آبائهم بذلك، وجواز المزح، ولعلَّ النبيَّ ﷺ أراد بذلك أن يحفظه محمود فينقله كما وقع، فتحصل له فضيلة نقل هذا الحديث وصحَّة صحبته، وإن كان في زمن النَّبيِّ ﷺ مميَّزاً، وكان عمره حينئذ خمس سنين، وقيل أربعاً والله أعلم[٢١٨].

قلت ولعلَّ الأفعال المقارنة للممازحة والضَّحكات هي التي تبقى عالقة في ذهن الصَّغير دون الكلمات والمواعظ والإرشادات التي لا يعقلها الصَّغير ولا يتذكَّرها عندما يكبر،

---

(٢١٥) أ- التخريج:
أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ج٥، ص ٦٦١، ح رقم ٣٧٨٤، قال حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا زمعه بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهما وذكره.
وأخرجه الحاكم، المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ج٣، ص ١٨٦، ح رقم ٤٧٩٤، من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن طاووس عن بن عباس رضي الله عنهما، بلفظ (يحمل الحسن بن علي على رقبته).
ب- الحكم على الحديث: قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وزمعة بن صالح قد ضعفه بعض أهل الحديث من قبل حفظه، سنن الترمذي، ج٥ن ص ٦٦١.
وذكر زمعة بن صالح ابن عدي في الضعفاء، الكامل في الضعفاء، ج٣،ص ٢٣٠، وقال عنه ابن حجر: ضعيف، تقريب التهذيب، ص ٢١٧، وقال عنه الذهبي: ضعفه أحمد، الكاشف، ج١، ص ٤٠٦، وذكره البخاري: بأنه يخالف في حديثه، التاريخ الكبير، ج٣، ص ٤٥١، وعليه فالحديث ضعيف.
(٢١٦) سبق تخريجه، ص٥٧.
(٢١٧) انظر: ابن حجر، فتح الباري،ج١، ص ١٧٢.
(٢١٨) النووي، شرح النووي (المنهاج)، ج٥، ص ١٦٢.

وهو منهج نبويٌّ شريف يبيِّن لنا طريقة التَّعامل مع سنِّ الرَّابعة والخامسة من العمر بأن يكثر من اللعب مع الصِّغار، حتى التَّعليم يتمُّ من خلال مواقف لعب مختلفة؛ لترسخ وتستمر في ذهن الصَّغير، وإلا فإنَّ الإرشادات والتعليمات والطرق والجدِّية في التَّربية دون الممازحة تذهب أدراج الرياح، لا بل تكون عائقاً أمام إبداعه وانطلاقته وحيويَّته مستقبلاً.

الفرع الخامس: لعب الصِّغار بالطُّيور ومباسطة الرَّسول ﷺ لهم.

عن أنس قال: «كان النَّبيُّ ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسبه فطيم، وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟» نغر كان يلعب به، فربَّما حضر الصَّلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته، فيكنس وينضح، ثمَّ يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا».[٢١٩]

والنغر: على وزن رطب، طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار، ويصغّر على نغير ويجمع نغران[٢٢٠]. ولقد تناوله في القرن الرابع الهجري أحمد أبي أحمد الطَّبري البغدادي الشافعيّ ابن القاص في البحث، وذكر عليه أكثر من ستِّين فائدة [٢٢١].

الفوائد التربويَّة المستوحاة من الحديث[٢٢٢]:

١) برغم حجم الدَّعوة، وبرغم المشاغل للرَّسول ﷺ، إلا أنَّه أعطي وقتاً يقتطعه

([٢١٩]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد الرجل، ج٥، ص ٢٢٩١، ح رقم ٥٨٥٠، قال حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس قال وذكره.
وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، ج٣، ص١٦٩٢، ح رقم ٢١٥٠من طريق أبي التياح الضبعي عن أنس بن مالك" .
وأخرجه داود الطيالسي، مسند الطيالسي، ج١، ص ٢٨٥، ح رقم ٢١٤٧، بلفظ" كان النبي ﷺ يدخل على أمي أم سليم فتتحفه بالشيء فدخل علينا يوماً وعندها اخ لي صغير فرآه خاثر النفس، فقال: ما بال ابنك يا أم سليم، فقالت يا رسول الله ماتت صعوته التي كان يلعب بها، فقال يا أبا عمير مات النغير، أتى عليه الدهير".
وأخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٤٢٧، بزيادة " فجعل النبي يمسح برأسه ويقول يا أبا عمير ما فعل النغير"، وكلاهما من طريق الجارود بن أبي سبرة الهذلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه".
وأخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٤٣١، وفيه زيادة قصة وفاة أبا عمير، قال: فمرض وأبو طلحة غائب في بعض حيطانه، فهلك الصبي فقامت أم سليم فغسلته وكفنته، وحنطته وسجت عليه ثوباً...
وأخرجه البخاري، الأدب المفرد، كتاب الأسماء، باب الكنية للصبي، ص٢٩٥، ح رقم ٨٤٧، بلفظ" فرآه حزيناً، فقال: ما شأنه قال: مات نغره...كلاهما من طريق ثابت البناني عن أنس بن مالك.
وأخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص ١١٤، ح رقم ١٢١٥٨ بزيادة،" وكان النبي ﷺ يضاحكه" وج٣، ص ١٨٨، ح رقم ١٢٩٨٠، بزيادة " وكان يمازحه" وج٣، ص ٢٠١، ح رقم ١٣٠٩٩ بلفظ" إذا دخل عليه ضاحكه فرآه حزيناً"من طريق حميد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
والصعوة: هي طائر أصغر من العصفور،ابن الأثير، النهاية ج٣، ص ٣٢.

([٢٢٠]) انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص ٨٥، و أحمد الفيومي، المصباح المنير، ص ٢٣٥.

([٢٢١]) انظر ابن القاص الشافعي(ت ٣٣٥) جزء فيه فوائد حديث أبي عمير، تحقيق صابر البطاوي، مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٢م.

([٢٢٢]) انظر الشيخ نجيب خالد العامر، من أساليب الرسول ﷺ في التربية، دراسة تحليلية، وبيان ما يستفاد منها في وقتنا الحاضر، ص ص ٩٨- ١٠٠.

للأطفال، فيشكِّل به مكسباً تربويًّا لهم.

٢) استخدم الرَّسول ﷺ أسلوب التَّكنية للطفل الصغير، وكأنَّه أصبح في مصافِّ الشباب، وتكنية الولد تكسر الميوعة في النداء.

٣) تمتَّعت الجملة التي قالها عليه الصلاة والسلام بصفات تربويَّة وبلاغيّة مناسبة لسنِّ الطِّفل المُخاطب، وهي:

أ. الجملة قصيرة من حيث عدد الكلمات، فهي ستُّ كلمات وعدد أحرفها اثنا عشر حرفا، فعدد الكلمات مناسبة لسنِّ الصَّغير كونه فطيماً.

ب. الجملة سهلة النُّطق، وخالية من الكلمات الحوشيَّة الصَّعبة.

ج. يا، أبا، عمير: كلمات من السَّهل أن ينطق الصَّغير بها.

د. الجملة سهلة الاستيعاب، ومضمونها معروف، فمن االسَّهل أن يستوعبها الطفل ويعرف مضمونها.

هـ. الجملة سهلة الحفظ لوجود السَّجع، وهو محبَّب لنفس الطفل، ويستجيب له إستجابة نفسيَّة يعبِّرعنها بابتسامة وضحكة، وهذا ما يسمَّى بالخبرات السارة.

و. فواصل الجملة مناسبة لنفس الطفل وللوقت الزَّمنيِّ الذي يردده الطفل، يا أبا عمير- هذا المقدار مناسب- ما فعل النغير- أيضا هذا المقدار مناسب- وبداية الجملة نداء – سكتة - استراحة – استفهام - أغلقت الجملة، كلمات سهلة، وجمل قصيرة.

٤) نزل الرَّسول ﷺ للمستوى العقليِّ للطفل «أبا عمير»، وهذا ممَّا يدخل السُّرور في نفس الطفل وأهله من حوله، فهو سلوك تربويٌّ ودعويٌّ يزيد من محبَّة الطفل وأهله لرسول الله.

٥) أوجد الرَّسول ﷺ البيئة العباديَّة العمليَّة في بيت أنس - رضي الله عنه -.

٦) أنَّ تنظيف البساط هو تدريب عمليّ لحبِّ النَّظافة لأهل البيت، ومن بينهم الأطفال.

ويضيف الدُّكتور علي عجين بقوله: «وإذا كان من الحكمة توجيه الخطاب للطفل في هذه المرحلة، فإنَّ من الحكمة أيضاً العناية بنوعيَّة الخطاب الموجَّه إليه، وحسن اختيار العبارات وفق معايير تربويَّة تؤدِّي الغرض من الخطاب، ويذكر منها:

١) المتعة: فقد استعمل النَّبي ﷺ التَّنغيم في خطابه للطفل، واستخدم كلَّ ما هو إيقاعيّ يحظى باهتمام الطفل، وينال إعجابه.

٢) الإثارة والتَّشويق: فعبارة النَّبيِّ ﷺ الموجَّهة لأبي عمير كانت مليئة بالحيويَّة والإثارة، ممَّا لفت انتباه الطفل إليه.

- ابتدأ بالنِّداء: يا أبا عمير.

- استفهام: ما فعل النغير؟.

- التَّصغير: نغير.

- إضافة الفعل إلى الطير.

٣) الفصاحة: فالنَّبي ﷺ خاطب طفلاً بعبارة فصيحة واضحة وكأنَّما يخاطب الكبار، دون اللثغ أثناء التَّحدث معه.

٤) مراعاة اهتمامات الطفل وميوله.

٥) الخطاب الهادف: فالخطاب النبويّ لأبي عمير حقَّق أهدافاً سامية تتناسب مع نموِّ الطفولة المبكِّرة [٢٢٣].

ويذكر أيضاً ابن حجر[٢٢٤] فوائد أخرى، وهي كثيرة، ويهمُّنا منها هنا ما يخصُّ مرحلة ما قبل التَّمييز (الطفولة المبكِّرة):

١. وفيه جواز الممازحة وتكرير المزح، وأنَّها سنة وممازحة الصبيّ الذي لم يميّز جائزة، وتكرير زيارة الممزوح معه كذلك.

٢. وفيه ترك التكبُّر والترفُّع.

٣. وفيه التلطُّف بالصَّديق الصَّغير، والسؤال عن حاله.

٤. وفيه جواز لعب الصّغير بالطير.

٥. وجواز ترك الأبوين ولدهما الصَّغير يلعب بما أبيح اللعب به.

٦. وجواز إنفاق المال فيما يتلهَّى به الصَّغير من المباحات.

٧. وجواز إمساك الطير في القفص ونحوه، وقصِّ جناح الطير، إذ لا يخلو حال طير أبا عمير من واحد منهما.

٨. وفيه جواز مواجهة الصَّغير بالخطاب، خلافاً لمن قال: الحكيم لا يواجِه بالخطابِ إلا من يعقل ويفهم، قال: والصَّواب الجواز، حيث لا يكون هناك طلب جواب.

٩. لم يخاطبه في السؤال عن حاله، بل سأله عن غيره.

١٠. وفيه جواز معاشرة النَّاس على قدر عقولهم.

لا بدَّ من تسجيل كلمة هنا وهي أنَّ العلم الحديث أثبت أنَّ اللعب مع الطيور والحيوانات في هذه المرحلة ((تكون مساعدة للطفل على عمليَّة التَّطبيع الاجتماعي)) (٢٢٥).

---

(٢٢٣) للاستزادة أنظر: علي عجين، عناية النبي ﷺ بالطفولة المبكرة، على ضوء حديث يا أبا عمير ما فعل النغير، ص ص ١٠- ١١،

(٢٢٤) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص ص ٥٨٤- ٥٨٥.

(٢٢٥) فينكس فيليب، فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية، القاهره/١٩٨٢م، ص٣٠٦.

ومن خصائص هذه المرحلة أيضا أنَّ الطفل في هذه الفترة - من ثلاث إلى أربع سنوات - ((يدرك ويفهم مداعبة الحيوانات، ويحبُّ ملاحظتها ومراقبتها في أكلها وشربها ونومها))(٢٢٦).

كذلك من خلال النَّظر في جوِّ النصِّ وجمع الروايات، يمكن إضافة النّقاط التالية:

١. روايات أحمد بن حنبل بألفاظ مختلفة، وفيها أنَّه مجرَّد دخول النبي ﷺ على أبي عمير شرع بالمضاحكة والممازحة له، وكأنَّها لغة التخاطب المفضَّلة والمحبَّبة لنفس الصِّغار في هذه المرحلة، «إذا دخل عليه ضاحكه فرآه حزيناً"، «وكان النبي ﷺ يضاحكه»، «وكان يمازحه».

٢. لا بدّ من وجود صفات عند المربي، منها قوة الملاحظة، وقراءة قسمات وجوه الصغار؛ لأنَّ الصغار لا يستطيعون كتمان مشاعرهم وعواطفهم، وتظهر مباشرة على تقاطيع وجوههم وتصرفاتهم، ففي رواية أحمد « ضاحكه فرآه حزيناً»، ورواية الطيالسي، هناك اشارة إلى شدَّة الملاحظة، ثمَّ المبادرة بالسُّؤال عنه؛ لأنَّ الرُّكون وعدم اللعب والممازحة ليست علامة صحَّة للطفل في هذه المرحلة، «كان النبي ﷺ يدخل على أمي أمّ سليم فتتحفه بالشَّيء، فدخل علينا يوماً وعندها اخ لي صغير، فرآه خاثر النَّفس، فقال: ما بال ابنك يا أمّ سليم؟» .

٣. إنَّ لمسة الحنان على الرّأس برفقة الخطاب الحاني الهادي المسجوع هي أفضل وسيلة لمساعدة الأطفال على سرعة الإستشفاء من نوبات الحزن والكآبة، وتشكل تعويضا ودعما لهم عن الحرمان والفقدان، كما تشير رواية ابن سعد «فجعل النبي يمسح برأسه ويقول يا أبا عمير ما فعل النغير».

٤. تُعلمنا أمّ سليم درس بليغ وعميق، وهو ماذا يكون تصرف الأمّهات حيال فقد الأطفال وموتهم؟ إنّما يكون باحتسابهم عند الله تعالى، والصَّبر على ذلك، وعدم فجع الوالد القادم من السَّفر بولده؛ لأنَّ من طبيعة الأطفال القفز الى أحضان أبيهم، يلتزمونهم، ويقبّلونهم، فلم يجد أبو طلحة أبا عمير فيسأل عنه، فتجيبه: بأنَّه نائم، فيبيت ليلته ثم يصبح فتخبره.

تقول رواية ابن سعد: «فمرض وأبو طلحة غائب في بعض حيطانه، فهلك الصَّبي فقامت أمُّ سليم فغسَّلته، وكفنته، وحنطته، وسجت عليه ثوباً... »

٥. لا بدَّ للمربِّي من المشاركة والمفاعلة الاجتماعيَّة للطفل المتربي عنده، فيذهب الرَّسول ﷺ مع أنس إلى بيت أمِّه(أمّ سليم)، ويخالطهم، ويصلي معهم إذا حضرت الصلاة جماعة في البيت على البساط بعد تكنيسه وتنظيفه من تحت الطير، ولا ينفصل عن مكان معيشتهم، بل يعيش واقعهم بدون تكلف، ويعلّم أنس كيف يتعامل مع أخيه الصغير أبي عمير من خلال القدوة، والسؤال عن الصغير المريض، ولذلك قال عنه أنس: « كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير...»

---

(٢٢٦) أحمد السعيد يونس، طفلك في عامه الثامن، ص٧١.

الفصل الثالث

مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة)

المبحث الأول: مفهوم مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخرة) وسماتها.
المطلب الأول: مفهوم مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخرة).
المطلب الثاني: سمات مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخرة).

المبحث الثاني: الأسلوب النَّبوي في التَّعامل مع مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة)
المطلب الأوَّل: التَّعليم والتوسُّع المعرفيِّ والاجتماعي.
المطلب الثاني: اللعب مع الرِّفاق والانتماء للمجموعة.
المطلب الثالث: تنمية شخصيَّة الطفل.

المبحث الثَّالث: تميّز الخطاب النبوي لغير البالغين.
المطلب الأوَّل: خصائص الخطاب النَّبويّ لغير البالغين.
المطلب الثَّاني: صفات النَّبيّ محمَّد -ﷺ- التَّربويَّة.

الفصل الثالث

مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخَّرة)

المبحث الأوَّل: مفهوم مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة) وسماتها

المطلب الأول:مفهوم مرحلة التمييز (الطفولة المتأخرة):

لقد بيَّنت السُّنة الشريفة أطوار الطفولة بتحديد سنِّ السَّابعة بداية التَّمييز عند الطفل؛ ولذلك تبدأ مرحلة الأمر للتَّعليم والتَّأديب من قبل وليِّ الأمر، وتنتهي بطور جديد وهو سنّ العاشرة، ويصلح معه عنده أسلوب العقاب بالضَّرب غير المبرح؛ للتَّأديب وليس للانتقام، ويتمُّ التَّفريق بين الأطفال في المضاجع في نهاية المرحلة، وذلك استعدادا لبدايات البلوغ وترقُّبها في المرحلة القادمة، لقول الرَّسول ﷺ: «مروا أولادكم بالصَّلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقوا بينهم في المضاجع» (٢٢٧).

ولقد اختلف العلماء على تحديد زمن المرحلة، وكذلك على الصِّفات المشتركة التي تجمع هذه الفئة، شأنها شأن مرحلة ما قبل التَّمييز (الطفولة المبكِّرة).

فقد سمَّاها الإمام الغزالي مرحلة التَّمييز، ويحدِّدها من السَّابعة حتَّى البلوغ، ويقول عنها: ((ومهما رأى فيها المربِّي من مخايل التَّمييز، فينبغي أن يحسن مراقبته)) (٢٢٨).

ويسمِّيها الفقهاء مرحلة التَّمييز بين الأشياء، ويفرّق فيها بين النَّفع والضَّرر(٢٢٩)،

---

(٢٢٧) سبق **تخريجه،ص ٥٩.**

(٢٢٨) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،ج٣،ص٢٠١.

(٢٢٩) أنظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت،ص٢١ .

ويذهب مصطفى الزرقاء إلى تقسيم مراحل الطفولة إلى مرحلتين هما: مرحلة الطفولة، ومرحلة التمييز[٢٣٠]. وبعض التَّربويِّين قسَّموا الطفولة إلى ثلاث مراحل: الأولى مابين الفطام إلى السَّابعة، والثانية مابين السَّابعة إلى العاشرة، والثالثة مابين العاشرة إلى سنِّ البلوغ[٢٣١]، ومنهم من يقسِّمها إلى رضيع، وطفولة مبكِّرة من الولادة حتَّى السَّادسة، وطفولة متأخِّرة إلى الثانية عشرة[٢٣٢].

أمَّا الغربيُّون، فيسمِّيها بياجيه الطفولة المتأخِّرة ٧-١٢، ويتَّصف الطفل بقدرته على تصنيف العلميَّاتِ الحسابيَّةِ، ويستخدم المنطق، وهي مرحلة الإدراكات العقليَّة الحسِّية[٢٣٣].

وعليه فتكون المرحلة التي يكون فيها الطفل في المدرسة الأساسيَّة من الصفِّ الثاني إلى نهاية الصفَّ الرَّابع أوالعاشر، وبشكل عامّ فإنَّ الطفل يدخل في مرحلة التَّفريق بين النَّافع والضَّارّ، وتتكوَّن لديه ملامح الجدّيَّة والاستقلاليَّة، وتتّسع لديه المهارات الأكاديميَّة المعرفيَّة، وكذلك الاجتماعيَّة، ويتقبَّل الأوامر من الوالدين وينفِّذها، وتكون هذه الصِّفات مشتركة بين الأطفال في الفترة من (٧-١٠)أعوام.

المطلب الثاني: سمات مرحلة التَّمييز(الطفولة المتأخِّرة):

تظهر في هذه المرحلة مجموعة من السِّمات العقليَّة، والاجتماعيَّة، والانفعاليَّة، والجسميَّة، ومن أهمِّ هذه السِّمات مايلي:

أوّلاً: الجانب العقليّ:

يؤثر الالتحاق بالمدرسة في نموِّ الطفل، حيث يكتسب الطفلُ السُّلوكيَّاتِ والمهاراتِ المختلفة، وتتّسع حصيلته الثّقافيَّة. وأهمّ مميِّزات هذه المرحلةِ ما يلي[٢٣٤]:

١. يستمرّ النموُّ العقلي بصفة عامَّة سريعا من ناحية التَّحصيل، حيث يهتمُّ التلاميذ بموادِّ الدِّراسة والكتب والقصص، وفي نهاية المرحلة ينشغل الطفل في قراءات خاصَّة في وقت الفراغ، وقد وجد أنَّ التحصيل يعتبر دليلاً مقبولاً للتنبُّؤ بالتَّحصيل في المستقبل خلال المراهقة والرشد.
٢. ينتقل التذكّر من الآلي إلى التذكّر والفهم، ثمَّ تزداد قدرته على الفهم.
٣. يزداد مدى الانتباه ومدَّته، خاصَّة إذا كان الموضوع حديثاً شفهيّا.
٤. ينمو التَّفكير، وينتقل من التَّفكير الحسِّي إلى التَّفكير المجرَّد النَّاقد، ويلاحظ أنَّ الطفلَ ينتقدُ الآخرين، ويكون حسَّاساً بالمقابل لنقدهم.
٥. تبقى معظمُ مفاهيم الطفل بسيطة وغامضة.

---

[٢٣٠] أنظر مصطفى الزرقاء، المدخل الفقهي العام، ط١٠، ج٢، دار الفكر، دمشق،١٤١٢هـ-١٩٩٢م ص٧٥١ .

[٢٣١] انظر محمد خير فاطمة، منهج الإسلام في تربية عقيدة الناشئ، ط /١ دار الخير، بيروت،١٤١٩هـ-١٩٩٨، ص٢٠٢ .

[٢٣٢] عادل الأشول،علم نفس النمو، مكتبة الانجلو المصرية، مصر،ص ص٥٤-٥٥.

([٢٣٣]) الفت حقي، سيكولوجية الطفل، (علم نفس الطفولة)، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ١٩٩٦م. ص٢٦ .

([٢٣٤]) أنظر حامد زهران، علم نفس النمو والمراهقة،ص ص ٢١٣- ٢١٦.

ثانياً: الجانب الاجتماعيّ:

تتوسَّع دائرة الطفل الاجتماعيَّة، وتزداد علاقاته برفاقه، وهناك مميِّزات تتميَّز بها هذه المرحلة، وهي [٢٣٥]:

١. يسعى الطفل إلى أن يكونَ مستقلاً بشخصيَّته عن غيره.
٢. يسعى إلى إرضاءِ رفاقِه عنه، ويعلم أنَّ هذا لا يمكن الحصول عليه إلا بالسُّلوكِ التعاونيِّ مع الرِّفاق.
٣. تزداد علاقاته مع الآخرين، ويظهرُ تعرُّفاً متزايداً على ذاته.
٤. يصبحُ هناك تغيُّر في سلوكِه وأنماطِه الاجتماعيَّةِ والانفعاليَّة، فيقوم بأعمال تبدو وكأنَّها بدون أساسٍ معقول، فهو يحبُّ معلِّمه فترة من الزمن، ويكرهه أخرى.
٥. ينتقل الطفل من تمركزه حول ذاته في مرحلة ما قبل التَّمييز (الطفولة المبكِّرة) إلى المشاركة في الفعاليَّات الاجتماعيَّة في مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة)، ولا شكَّ أنَّ للمدرسة دوراً فعَّالاً في تنمية التَّعاون والتَّقارب بين الأطفال.
٦. يكون اللعب في هذه المرحلة لعباً جماعيًّا، وهي فرصة في تحقيق المكانة الاجتماعيَّة، ويكوِّن الأطفال ما يسمَّى العصابة.

ثالثاً: الجانب الانفعاليّ:

تلعبُ الأسرة دوراً بالغَ الأهميَّةِ في تعليم الأطفالِ ضبط انفعالاتهم واستقرارها وثباتها، وأهمُّ ما يميِّزُ هذه المرحلة مايلي:

١. يميل الطفلُ إلى الاستقرار الانفعاليِّ نوعاً ما، فما زالت لديه آثارُ الغيرة، ولم يصل إلى درجة النّضج الانفعاليّ [٢٣٦].
٢. مازال الطفل في هذه المرحلةِ يعاني من مخاوفَ يشعر بها من المرحلةِ السَّابقة، مثل الخوف من الظلام، والوحدة، والأخطار الخياليَّة[٢٣٧].
٣. يتلفَّظُ الطفلُ في هذا العمر الكلمات النَّابية؛ لأنَّه يريدُ أن يتشبَّه بغيرهِ من الأطفال، و يتشبّه كذلك بطريقة اللّبس، وقصِّ الشعر، والنَّظافة، وغيرها من شؤون الحياة[٢٣٨].
٤. يميل الطفلُ إلى اللعب بالألعابِ التي لا تحتاج إلى تخطيط، بل إنَّه يميل إلى الألعابِ التي تلزمها المهارة والقوانين الصَّارمة، مثل جمع الطَّوابع والعملات[٢٣٩].
٥. تظهر لديه بعض الحركات العصبيَّة، وتزداد عند التوتُّر العصبيِّ، وقد تدوم أسابيعاً أو شهوراً، وقد تزول نهائياً، مثل (هزِّ الكتفين، عبوس الوجه، السُّعال الناشف)، ولا يجوز توبيخ الطفل على هذه الحركات؛ لأنَّها خارج إرادته [٢٤٠].

---

[٢٣٥] أنظر فاخر عاقل، علم النفس،ص ص٥١٥-٥١٨.
(٢٣٦) حامد زهران، علم نفس النمو والمراهقة، ص ٢٢٣.
[٢٣٧] فاخر، علم النفس،ص ٣٩٥.
[٢٣٨] سبوك، موسوعة العناية بالطفل، ص ٣٣٥.
[٢٣٩] المرجع السابق، ص٣٣٦.
(٢٤٠) المرجع السابق، ص٣٣٦

رابعاً: الجانب الجسديّ:

نلاحظ في هذه المرحلة العديد من التغيُّراتِ التي تطرأ على الطفل في هذا الجانب، والتي لم تكنْ تُلاحظ في المرحلة السَّابقة، وخاصَّة بين الجنسين، وممَّا يميِّز هذه المرحلة مايلي[٢٤١]:

١. يفقد معظم الأطفال في السَّنة السَّادسة الكثير من التَّناسق العضويّ، فتنمو الذِّراعان مثلا بصورة أسرع من الجذع.
٢. تنمو البنات أبكر من الصِّبيان، إلا أنَّ الصِّبيان يبقون حتَّى السَّنة العاشرة أطول من البنات، وأثقل وزناً.
٣. تتميَّز هذه المرحلة بوجود فروق فرديَّة بين الأطفال في الوزن والطول.
٤. يمكن التنبُّؤ بتطوُّراتِ النموِّ في هذه المرحلة، فالطفل الذي يبدو كبيراً أو صغيراً بالنِّسبةِ لأقرانِه، سيكون كذلك بالنِّسبة لهم في مرحلةِ الرُّشد.
٥. تتغيَّر تقاطيع الوجه، حيث تضعف شحوم الطفولة، وكذلك يفقد الأطفال أسنانهم اللبنية، وتظهر الأسنان الدَّائمة التي لها دور في تغيير ملامح الوجه.
٦. يعاني الأطفال حتَّى السَّابعة من أعمارهم من طول النَّظر، والذي يصحُّ تلقائيًّا حتَّى العاشرة؛ لذلك نجد كتبهم مطبوعة بحروف كبيرة.
٧. يزداد التَّناسق في النموِّ العضويِّ للعضلات الكبيرة والصَّغيرة، ويتَّضحُ هذا في الكتابة، والقراءة، وانتهاءً باللعبِ الجماعيِّ المنظَّم.

المبحث الثاني: الأسلوب النبويّ في التَّعامل مع مرحلةِ التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة).

يرتقي الصَّغير في التَّربية والتأديب والتَّهذيب، ويرتقي معه خطابه أيضاً، فكما كان خطاب الحسن والحسين وأبي عمير في الطفولة المبكِّرة من السُّهولة، والرِّقة، ومزج ذلك بالممازحة، واللعب، والحمل على الأكتاف، والمسح على الرُّؤوس، والضمِّ، والتقبيل، وعبارات المديح والثناء، والتي كانت على شكل دعائم وقواعد لتكوين الشخصيَّة القويَّة، ترتقي هنا لغة التخاطب، مع بقاء الليونةِ في المعاملة، والرِّفق، وكذلك اللعب، ولكن بأسلوبٍ مختلفٍ تماماً؛ فهو يحبُّ اللعبَ مع الرِّفاق، ولذلك سنجدُ كيف أنَّ أنَس بن مالك وعبد الله ابن عبَّاس يلعبون مع الرِّفاق، ويجيزهم الرَّسول ﷺ على تصرُّفهم، وسنجد أيضاً حبَّ ابن عباس للتعلم والاقتداء بالمعلم ﷺ، وكما سنجد الميلَّ للمغامرة من خلالِ فعلِ الزُّبير بن العوام وهو يحملُ سيفَه للدفاع عن قدوتِهِ ﷺ...

---

(٢٤١) أنظر ميخائيل إبراهيم أسعد، مشكلات الطفولة والمراهقة، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت١٩٨٦، ص ص ٧١-٧٢.

المطلب الأوَّل:التَّعليم، والتوسُّع المعرفيّ والاجتماعيّ.

لقد عنيت الشريعة الإسلاميَّة بتربية النَّشئ تربية إسلامية نظيفة، بعيدة كلّ البعد عن مكامن الانحراف؛ لبلوغ السَّعادة في الدَّارين الأولى والأخرى، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[٢٤٢]**، وتكون تربية الوالدين للصّغير أكدّ وأشدّ إذا عرفا أنَّ الصَّغير يأتي إلى دنياه لا يعلم شيئاً** ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٢٤٣]**. فيأتي الصَّغير جاهلاً، ثمَّ يبيَّن له سبل اكتسابه للتعليم بوساطة الحواسِّ(السَّمع، والبصر، والفؤاد)، ثمَّ يتطوَّر إلى التَّوسّع المعرفيِّ عن طريق التَّفكير المجرَّد** ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾**، ولابدَّ هنا من الإشارة إلى أنَّ التوسُّع المعرفيِّ، والتَّعليم، وبناء قاعدة اجتماعيَّة، لا يتمُّ على أساس هزيل ملؤه العبثيَّة والتخبُّط والعشوائية في التَّربية بغير هدى، بل تبنى على أسس ودعائم قويَّة، فهي لا تكون بقضاء السَّاعات الطِّوال أمام شاشات (التّلفاز) وأفلام الكرتون، والتي وجِّهت وجهةً لا تخدم حضارتَنا، بل تصنع من الأطفال دمىً تقدِّس (السُّوبرمان) الخارق، الذي يأتي ليحمي حضارةَ الغربِ، أو (الفأر) بذكائه يهزم القطَّ (الغبيِّ)؛ ليقلب المفاهيم في ذهن النَّاشئة، أوالدبّ الذي يُسأل من فوق الغمام فيغرف لهم الغيث الهطال!! إنَّ إلهاء الوالدين لأبنائهم بهذه الطُّرق، تصنع منهم أشباه رجال أو أتباعا شاءوا أم أبوا.**

إنَّ إلقاء الضَّوء على المنهج النبويِّ في التعليم، وتفتيق الأفهام والرُّؤى، وكيف تكون القدوةُ واتِّباع المنهج نفسه كما سلك الأوائل هي السَّبيل لإخراج الجيل المنشود.

يقول الدكتور عبدالرحمن المالكي حول الطبيعة البشريَّة والتعليم: «فالطبيعة البشريَّة بما جبلها الله تعالى عليه من ضعف ونقص بشري، بحاجة إلى من يساعدها على النموِّ السَّليم والتَّرقِّي في مدارج العلم؛ لتتربَّى تربية سلميَّة، وتنتهج النَّهج المستقيم الذي أراده تعالى لها»[٢٤٤]، ولابدَّ أيضاً من توجيه الطفل نحو العادات الاجتماعيَّة المفيدة، ومن آداب التعامل مع الآخرين مايلي[٢٤٥]:

١. **إلقاء السَّلام على من يلقاه.**
٢. **شكر من يسدي إليه معروفاً.**
٣. **الاعتذار عن الخطأ، وقبول اعتذار من يسئ إليه.**
٤. **مخاطبة الآخرين بأسلوب مهذب.**
٥. **التَّخفيف من آلام المحزونين.**

---

(٢٤٢) سورة التحريم، الآية (٦).

(٢٤٣) سورة النحل، الآية (٧٨) .

(٢٤٤) عبدالرحمن بن عبدالله المالكي، مهارات التربية الإسلامية،كتاب الأمة، ط١،عدد١٠٦، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، قطر ١٤٢٦هـ.٢٠٠٥م، ص٥٥.

(٢٤٥) جمال عبد الهادي وآخرون، المهام التربوية للآباء .ط١\،دارالتوزيع والنشر الإسلامية، مصر،١٤٢٥ه-٢٠٠٤م،ص ٥٥،٥٤.

٦. التَّهنئة في المناسبات السارَّة .

٧. مراعاة آداب التَّعامل مع الأكبر منه سنًّا.

٨. مراعاة آداب التَّعبير عن مشاعر الغضب.

الفرع الأول: العطف على الصبيان والدعاء لهم بتعليمهم الحكمة.

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: «ضمَّني النَّبيُّ ﷺ إلى صدره وقال: اللهمَّ علمه الحكمة» (٢٤٦)، ومعنى كلمة الحكمة: إتقان الأمور ووضع الشيء في محلِّه، وقيل المراد بالحكمة: الإصابة في القول، وقيل الفهم عن الله، وقيل ما يشهد العقل بصحَّته، وقيل نور يفرِّق بين الإلهام والوسواس، وقيل سرعة الجواب بالصَّواب، وكان ابن عباس - رضي الله عنه- من أعلم الصَّحابة بتفسير القران الكريم، ويقول عنه ابن مسعود: «لو

---

(٢٤٦) أخرجه البخاري، صحيح البخاري،كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، ج٣، ص١٣٧١، ح رقم ٣٥٤٦، قال حدثنا مسدد حدثنا عبد الوارث عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس وذكره، وأخرجه أيضا، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ج١، ص٦٦، ح رقم ١٤٣ بلفظ "أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوءا قال" من وضع هذا؟ فأخبر فقال اللهم فقهه في الدين "

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم،كتاب الفضائل،باب فضائل عبدالله بن عباس،ج٤،ص١٩٢٧،ح رقم ٢٤٧٧

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند احمد بن حنبل،ج١،ص٣٢٧،ح رقم،٣٠٢٣ بلفظ" اللهم فقهه" كلهم من طريق هاشم بن القاسم عن ورقاء بن عمر،عن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس .

واخرجه أحمد بن حنبل،مسند أحمد بن حنبل، ج١،ص٢٦٦،ح رقم٢٣٩٧ بلفظ:"فقهه في الدين وعلمه التأويل ".

وأخرجه ابن حبان،صحيح ابن حبان، كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة،ج١٥،ص٥٣١،ح رقم ٧٠٥٥ بلفظ: كنت في بيت ميمونة بنت الحارث فوضعت لرسول الله ﷺ طهورا فقال : من وضع هذا ؟ قالت ميمونة: عبد الله فقال ﷺ: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

وأخرجه الطبراني،المعجم الكبير،ج١٠،ص٢٦٣،ح رقم ١٠٦١٤ ،بزيادة"فضرب على منكبي".

وأخرجه الحاكم،المستدرك علىالصحيحين،كتاب معرفة الصحابة،ج٣،ص٦١٥،ح رقم٦٢٨٠ .جميعهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣٠،ح رقم ٣٠٦١ بلفظ"أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني فجعلني حذاءه فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي ما شأنك أجعلك حذائي فتخنس فقلت يارسول الله أوينبغي لأحد أن يصلي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله، قال :فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علما وفهما...

وأخرجه ابن أبي شيبة،مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل، ما ذكر في بن عباس رضي الله عنه، ج٦،ص٣٨٣،ح رقم ٣٢٢١، بلفظ "دعا لي رسول الله ﷺ: أن يزيدني علما وفهما " وكلاهما من طريق حاتم بن أبي صغيرة عن عمرو بن دينارعن كريب عنه.

وأخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٢،٣٦٥ بلفظ"اللهم علمه الحكمة،وتأويل الكتاب" من طريق عمرو بن دينار عب طاووس، عن ابن عباس رضي الله عنه .

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ج١٠،ص٣١٦ بلفظ "(... وضع يده على رأس عبدالله فقال: اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل ووضع يده على صدره فوجد عبدالله بن عباس بردها في ظهره" من طريق فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج١،ص٣١٥، بلفظ "اللهم آته الحكمة" من طريق يونس عن أبي اسحاق عن عبد المؤمن الأنصاري عن ابن عباس رضي الله عنه

وأخرجه الطبراني،المعجم الكبير، ج١،ص٢٦٤،ح رقم ١٠٦١٥ بلفظ "رايت جبريل مرتين ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين "من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنه.

أخرجه الترمذي، سنن الترمذي،كتاب المناقب،باب مناقب عبدالله بن رضي الله عنهما، ج٥، ص٦٧٩، ح رقم٣٨٢٣،بلفظ "ودعا لي ان يؤتيني الحكمة مرتين" من طريق القاسم بن مالك المزني عن عبدالملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أدرك أسناننا ما عاشره منَّا رجل، وكان يقول: نعم ترجمان القران ابن عباس)) [٢٤٧].

دراســة مرويَّات ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وتبيان منهجه ﷺ في التربية.

١. الطريق الأوَّل: خالد الحذّاء: الضمُّ للصَّدر، ثمَّ الدُّعاء لابن عبَّاس بالعلم والحكمة ((اللهم علمه الحكمة)).

٢. الطريق الثاني: هاشم بن القاسم: خدمة التِّلميذ لشيخه ﷺ، ودعاء الشيخ له ((اللهم فقِّهه، اللهم فقِّهه في الدين)).

٣. الطريق الثالث: سعيد بن جبير: الدعاء ((فقِّهه في الدين وعلمه التَّأويل)).

٤. الطريق الرَّابع: حاتم بن أبي صغيرة: رواية احمد بن حنبل تدل على الأدب الرَّفيع والحياء والهيبة والإجلال من الرَّسول ﷺ، وكيف أنَّ ابن عباس لم يتقدَّم إلى حذاء الرسول ﷺ وهو يجذبه نحوه، ثمّ يخاطبه، أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك؟! متعجبا متعلما مستفهما بأدب جمّ، وحسن السُّؤال يدل دلاله واضحة على علامات النبوغ من ابن عباس، ولم يمنع ذلك من توضيح السَّبب ((وأنت رسول الله الذي أعطاك الله))، فيعجبه طبيعة السؤال الذي يدلُّ على العلم والفهم، فيدعو له ﷺ بالمزيد من العلم والفهم ((فدعا لي أن يزيدني علما وفهما))، ومعلوم أنَّ الأستاذ لا يدعو لتلميذه إلا إذا أحبَّه، ولمس منه بوادر حسن التلقي، والفهم، والعلم، والنُّبوغ، وكذلك حسن الأدب مع المعلم.

٥. الطريق الخامس: عمرو بن دينار: ((اللهمَّ علمه الحكمة وتأويل الكتاب))، فقرن الحكمة بتأويل الكتاب، وكأنَّ الذي لا يستطيع تفسير الكتاب لا يعدُّ حكيما وان تراءى للنَّاس أنَّه حكيم.

٦. والطريق السَّادس: فرات بن السَّائب: وضع اليد على الرَّأس تارة وتارة على الصدر، فيجد ابن عباس بردِّ يده الشَّريفة في ظهره مقرون ذلك بالدعاء
((اللهمَّ أعطه الحكمة وعلمه التَّأويل))، وكأنَّه يقول لمن يقوم بعمليَّة التَّربية لا بدَّ من إخضاع جميع الحواسِّ لنفاذ التعليم للمتلقي، من مسح باليد، ودعاء باللسان، وحسن الخطاب، وطلب ذلك ممن يملك مغاليق القلوب عزَّ وجل.

٧. والطريق السابع: طريق يونس عن أبي اسحاق: إفراد الدعاء بإتيان الحكمة ((اللهمَّ آته الحكمة)).

٨. والطريق الثامن: طريق ليث عن مجاهد: تكرار رؤية الأمين جبريل مرتين، وتكرار الدعاء مرَّتين للتَّوكيد بلفظ ((رأيت جبريل مرتين، ودعا لي رسول الله ﷺ بالحكمة مرتين)).

٩. والطريق التاسع: من طريق القاسم بن مالك المزني: تكرار طلب الحكمة بالدعاء ((ودعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين)).

---

(٢٤٧) انظر ابن حجر، فتح الباري،ج٧، ص ١٠٠.

١٠. والطريق العاشر: من طريق الثوري: أنَّه رأى جبريل مرَّتين، ودعا له مرتين ولم يحدِّد جنس الدعاء. ((أنَّه رأى جبريل مرتين، ودعا له النبي ﷺ مرتين)).

هذه الطرق بمجملها تشكِّل لنا كيف يكون آداب تلقِّي العلم ومنهجيَّة الإلقاء والتلقِّي صحيحة، وهذا الحديث وحده يكاد يكفي لأخذ الدُّروس والعبر الكثيرة، ومقارنة المنهج النَّبويِّ في التَّربية وحال الأمة اليوم وما وصلت إليه من إسفاف واستهانة بالعلم وأهله، ممَّا اخرج لنا نباتا خمط وأثل وشئ من سدر قليل.

الفرع الثاني: تعليم الأيتام الصغار وتكليفهم في الخدمة.

عن انس رضي الله عنه قال: ((قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم، فاخذ أبو طلحه بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ أنَسا غلام كيّس فليخدمك، قال: فخدمته في السَّفر والحضر ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا))[٢٤٨].

وكان عمره عشر سنين عندما قدم لخدمة النبي ﷺ، وكان يتيم بموت أبيه على الشرك في الشام بعد الخروج إليه. تزوَّجت أمُّسليم أبا طلحه وخدم الرسول ﷺ في السفر والحضر حتى غدا بحرا من بحور العلم، ومثالا يحتذى به للاقتداء بالنبي ﷺ. وكان يقول عنه أبو هريرة: ما رأيت أحدا أشبه صلاة بالرسول ﷺ من ابن أمِّ سليم يعني: انس ابن مالك. ويروي عنه المثنى بن سعيد قال: سمعت أنس ابن مالك يقول: ما من ليله إلا وأنا أرى حبيبي، ثمَّ يبكي[٢٤٩].

وهو الذي كان يدعو له الرَّسول أن يكثر له المال والعيال، فكان بستانه يثمر في العام مرَّتين، وعاش له من الأبناء مائة وعشرون[٢٥٠].

---

(٢٤٨) أخرجه البخاري، صحيح البخاري،كتاب الوصايا،باب استخدام اليتيم في السفر والحضر اذا كان صلاحا له، ج٣،ص١٠١٨،ح رقم٢٦١٦، قال حدثتنا يعقوب بن ابراهيم بن كثير حدثنا ابن عليه حدثنا عبد العزيز عن انس بن مالك رضي الله عنه وذكره وأخرجه أيضا، كتاب الديات، باب من استعان عبدا او صبيا، ج٦،ص٣٢٢٥،ح رقم ٦٥١٣ من طريق اسماعيل عبد العزيز بن صهيب عن انس بن مالك رضي الله عنه .

وأخرجه البخاري زنلم، الأدب المفرد، باب العفو عن الخادم،ص٦٩،ح رقم ١٦٤،بزيادة "مقدمه المدينة حتى توفي ﷺ" من طريق عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه .

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل،باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا،ج٤،ص١٨٠٤،ح رقم ٢٣٠٩.بلفظ خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي افا قط ولاقال لي لشئ لم فعلت كذا ؟وهلا فعلت كذا . من طريق حماد بن بي زيد عن ثابت البناني من انس بن مالك.

(٢٤٩) أ- أخرجه ابن سعد،الطبقات الكبرى، ج٧،ص٢٠، قال أخبرنا مسلم بن إبراهيم، قال حدثنا المثنى بن سعيد الذراع قال سمعت أنس بن مالك وذكره.

وأخرجه ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩،ص٣٧٨ من نفس الطريق.

ب- الحكم عليه: فيه المثنى بن سعيد الضبعي البصري القصير الذراع القاسم، قال عنه البخاري: رأى أنسا وقتادة وروى عنه مسلم وابن مهدي، التاريخ الكبير ج٧، ص٤١٨، فإسناده صحيح.

(٢٥٠)ا- التخريج:

أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧،ص٢٠، من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد، عن سنان بن ربيعة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وممَّا يستفاد من هذه الرواية:

1. يجوز تكليف الصَّغير بالخدمة؛ لكي يتحمل المسؤولية في المستقبل.
2. عدم امتهان كرامة الصَّغير واليتيم.
3. عدم إطلاق عبارات القهر والأمر والعنف للخادم الصغير؛ لأنَّ نفسيَّته ترفض ذلك كونه صغيرا غير مكلفا، وأنَّه يشعر بالاستقلاليَّة في فترة التمييز (الطفولة المتأخِّرة). وكان عمره عشر سنين عندما كلّف بالخدمة.

٤. الاقتداء بالمعلم، وحبِّه الخالص لفعاله الحميدة معه، حتى انسحب ذلك بعد موته ﷺ، فعلى مجمل الرِّوايات كان يراه كلّ يوم في منامه ويبكي.

٥. الفطانة والكياسة للتلميذ تنعكس ايجابيا على صاحبها بتعليمه وتهذيبه ونيله العلوم، فكان من المكثرين من الرِّواية.

٦. قربه من مصدر التعليم؛ ولذلك كان يقلِّد في رواياته وعباراته الرَّسول ﷺ ولم يطبقها كما كان يقوم بها الرسول عليه السلام مثله احد، يقول انس بن مالك - رضي الله عنه- لثابت البناني رحمه الله:

((خذ عنِّي فانَّك لن تأخذ عن احد أوثق منِّي، أخذته عن رسول الله ﷺ، وأخذه رسول الله عن جبريل، وأخذه جبريل عن الله عز وجل)) [٢٥١].

الفرع الثالث: الاجتهاد والتفوُّق العلمي.

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه- قال: ((لمَّا قدم النبي ﷺ المدينة قال زيد: ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا الغلام من بني نجار معه ممَّا أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ وقال: يا زيد، تعلم لي كتاب يهود فإنِّي والله ما آمنُ يهودَ على كتابي، قال زيد: فتعلمت كتابهم، ما مرَّت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته، وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب)) [٢٥٢].

ب-الحكم عليه: فيه سنان بن ربيعة قال عنه ابن حجر: صدوق فيه لين، تقريب التهذيب، ص٢٤٦، فإسناده حسن.

(٢٥١) أ – التخريج:

أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب،باب مناقب انس بن مالك رضي الله عنه، ج٥،ص٦٨٢،ح رقم ٣٨٣١ . قال حدثنا ابراهيم بن يعقوب حدثنا زيد بن حباب حدثنا ميمون أبو عبدالله، حدثنا ثابت قال لي أنس وذكره.

وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص٣٣١، من طريق زيد بن حباب، عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس.

وأخرجه الحاكم، المستدرك، ج٣، ص٦٦٤، من طريق زيد بن حباب عن ميمون أبو عبدالله عن ثابت عن أنس.

ب- الحكم عليه: قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن حباب.

(٢٥٢) أ – التخريج:

وقوله والله ما أمن اليهود على كتابي: أي في الزيادة والنقصان، لا في قراءته ولا في كتابته، أي أخاف إن أمرت يهوديا بأن يكتب منِّي كتابا إلى اليهود أن يزيد فيه أو ينقص، وأخاف إن جاء كتاب من اليهود فيقرأه يهودي فيزيد وينقص[٢٥٣].

يتبيَّن لنا من الرِّوايات السَّابقة ما يلي:

١. قوَّة الملاحظة لدى الرَّسول ﷺ لاصطفاء العناصر القيادية، جاءه زيد بن ثابت وعمره أحد عشر عاماً وقد حفظ سورا من القران الكريم ((معه ممَّا أنزل الله عليك بضعة عشرة سورة، فأعجب ذلك النَّبي ﷺ)).

٢. تحويل المشاهدة إلى قرار وأمر ((يا زيد تعلم لي كتاب يهود...)).

٣. التَّحذير من المخاطر ((والله ما آمن يهود على كتابي)).

٤. الاقتصاد بالوقت، والتَّسريع بالتعليم، والتلقِّي للتنفيذ بمهارة واجتهاد ((ما مرت به خمسة عشرة ليلة حتى حذقته)).

٥. انجاز المهمَّة بتفوق ونجاح الخطة ((وكنت أقرا له كتبه إذا

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١٨٦، ح رقم ٢١٦٥٨، قال ثنا سليمان بن داود ثنا عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج خارجه بن زيد أبن أباه زيدا أخرجه وذكره. وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب رواية الحديث أهل الكتاب، ج ٢، ص ٣٤٢، ح رقم ٣٦٤٥ بنحوه .

وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب تعلم السريانية، ج ٥، ص ٦٧، ح رقم ٢٧١٥، بلفظ (مر بي نصف شهر حتى تعلمته)

وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٣٣، ح رقم ٤٨٥٦، ج ٥، ص ١٣٣، ح رقم ٤٨٥٧،

وأخرجه الحاكم، المستدرك، ج ١، ص ١٤٧، ح رقم ٢٥٢، بنحوه، ج ٣، ص ٤٧٦، ح رقم ٥٧٧٨ بلفظ (كانت وقعة بعاث وأنا أبن ست سنين وكانت قبل هجرة رسول الله ﷺ خمس سنين فقدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا أبن أحدى عشر سنة وأتى بي إلى رسول ﷺ فقالوا: غلام من الخزرج قد قرأ ست عشرة سورة فلم أجز في بدر ولا أحد وأجزت في الخندق)

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي كبرى، كتاب آداب القاضي، باب لا ينبغي للقاضي ولا للوالي أن يتخذ قرار دنيئا، ج ١٠، ص ١٢٧، ح رقم ٢٠١٩٤، جميعهم عن طريق عبد الرحمن أبن أبي الزناد عن أبيه عن خارجه بن زيد عن زيد بن حارثة.

ب- الحكم على الحديث :

فيه عبد الرحمن بن أبي الزناد، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيها، تقريب التهذيب، ص ٣٤٠، فالحديث حسن لكن يوجد له متابعة من طريق الأعمش عن ثابت بن عبيد الأنصاري عن زيد بن ثابت قال : (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم السريانية) وقال أبن حجر وفي ذلك رد على من زعم أن عبد الرحمن بن أبي الزناد تفرد به نعم لم يروه عن أبيه خارجه إلا عبد الرحمن فهو تفرد نسبي وقصة ثابت يمكن أن تتحد مع قصة خارجه بأن من لازم تعلم كتاب اليهودية تعلم لسانهم ولسان السريانية فيحتمل أن زيد تعلم اللسانين فانتفى الاعتراض. أنظر فتح الباري ج ١٣، ص ١٨٦، وقال عنه الترمذي هذا حديث حسن صحيح،سنن الترمذي ج ٥، ص ٦٧، ح رقم ٢٧١٥، وذكره الالباني في المشكاة بالصحيح، ج ٢، ص ٧، ح رقم ٤٦٥٩. فالحديث صحيح .

(٢) المبار كفوري، تحفة الأحوذي،ج٧، ص٤١٣

كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب)).

٦. وجهه الرَّسول ﷺ الوجهة التي يبدع فيها ويقدر عليها وهي التعليم ((فلم أجز في بدر ولا أحد، وأجزت في الخندق)).

٧. أنَّ نتائج هذه الرعاية في فترة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة) لزيد أثمرت في مستقبل أيامه[٢٥٤].

أ. تواضعه: قال ثابت بن عبيد: ((ما رأيت أحداً أجلّ إذا جلس مع القوم، ولا أفكه في بيته من زيد بن ثابت)).[٢٥٥]

ب. علمه: قال عنه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- : ((من أراد أن يسأل الفرائض فليأت زيد ابن ثابت)).[٢٥٦]

ج. مكانته بين أقرانه من الصحابة رضوان الله عليهم. فعن الشعبي قال: ((ذهب زيد ابن ثابت ليركب، فأمسك ابن عبَّاس بالركاب فقال: تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: لا، هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا)) [٢٥٧]، قلت والاثنان نتاج تربية النبي ﷺ في مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة)!.

---

[٢٥٤] أنظر أبن سعد، طبقات أبن سعد، ج ٢، ص ص ٣٥٨ – ٣٦٠، أبن الجوزي، صفة الصفوة، ج ١، ص ص ٣٤١ – ٣٤٣، الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج ٢، ص ص ٤٢٦ – ٤٤١، أبن حجر، الإصابة في تميز الصحابة . ج ١، ج ١، ص ٥٤٣، أبن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٢٩ .

[2] أخرجه البخاري، الأدب المفرد، ص١٠٨، ح رقم ٢٨٦، قال حدثنا عمر بن حفص قال حدثنا أبي قال حدثنا الأعمش، قال حدثني ثابت بن عبيد وذكره.

ابن أبي الدنيا، العيال، ج٢،ص٧٦٩، من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن ثابت بن عبيد وذكره.

الحكم عليه: قال عنه الألباني صحيح في تعليقه على الأدب المفرد ص ١٠٨.

[٢٥٦] أ – التخريج :

أخرجه ابن أبي شيبة، مصنف بن أبي شيبة، كتاب الفرائض، باب ما قالو في تعليم الفرائض، ج٦، ص٢٣٩، قال حدثنا وكيع، قال ثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه بلفظ أن عمر خطب الناس بالجابية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من أحب أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أحب أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت.

وأخرجه الطبراني، المعجم الاوسط، ج٤، ص١٢٧ من طريق سليمان بن داوود بن الحصين عن أبيه عن عرمة عن أبن عباس، مطولاً

وأخرجه الحاكم، المستدرك، ج٣، ص٣٠٦، ح رقم ٥١٩١ من طريق أبي عاصم عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عمر بن الخطاب عن أبيه عن عمر بن الخطاب.

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الفرائض، باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيرة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ج٦،ص٢١٠، ح رقم ١١٩٦٩ من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي صالح عن موسى بن علي عن أبيه عن عمر بن الخطاب مطولاً.

ب- الحكم عليه:

قال الهيثمي رواه الطبراني في الأسط، فيه سليمان بن داد بن الحصين، لم أرى من ذكره، مجمع الزوائد، ج١، ص٣٤٩، وقال عته الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، المستدرك، ج٣، ص٣٠٦، ورجال ابن أبي شيبة ثقات، فهو صحيح الإسناد.

[٢٥٧] أ – التخريج:

أخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الفرائض، باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيرة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ج٦،ص٢١١، ح رقم ١١٩٧٦ قال أخبرنا عبدالله الحافظ: أخبرني أبو عبدالرحمن محمد بن عبدالله التاجر، ثنا أبو حاتم عن الأنصاري عن محمد بن عمر عن أبي سلمة وذكره

وأخرجه الحاكم، المستدرك، ج٤، ص٣٧١، ح رقم ٧٩٥٦ من طريق أبو حاتم عن الأنصاري عن محمد

د. القيام بالمهامِّ الكبيرة: يقول الذهبي: ((اعتمد الصدِّيق عليه في كتابة القران العظيم في مصحف واحد، فجمعه من أفواه الرِّجال، ومن الأكتاف والرِّقاع، واحتفظوا بتلك الصّحف مدة، إلى أن ندب عثمان زيد بن ثابت ونفرا من قريش إلى جمع هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيد من ألفي ألف نسخة، ولم يبق بأيدي الأمَّة قرآن سواه، ولله الحمد)).

هـ. حدَّة ذكائه، وتميِّزه على أقرانه في طلب العلم. قال ابن كثير: ((كان زيد بن ثابت من أشدِّ الناس ذكاء، تعلّم لسان يهود وكتابهم في خمسة عشر يوما، وتعلّم الفارسيَّة من رسول كسرى في ثمانية عشر يوما، وتعلّم الحبشيَّة والروميَّة والقبطيَّة من خدَّام الرَّسول ﷺ)).

و. قربة من مصدر القرار خليفة رسول الله ﷺ لنبوغه، كان عمر بن الخطاب يوجِّه الصَّحابة إلى الأمصار ويبقيه بجواره، فإذا ذكر زيد بن ثابت قال: ((لم يُسقط عليّ مكان سعد – أي ما غفلت عنه- ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده، ممَّا لا يجدون عند غيره)).

ز. المنهج الواضح في فهمه للواقع والوقائع، وإنزال الفتوى عليهما، قال الزهري: ((بلغنا أنَّ زيد بن ثابت كان يقول إذا سئل عن الأمر: أكان هذا؟ فإن قالوا نعم، حدّث فيه بالذي يعلم، وإن قالوا لم يكن، قال فذروه حتى يكون)).

المطلب الثاني: اللعب مع الرِّفاق والانتماء للمجموعة.

إنَّ اللعب الجماعيَّ يشكِّل سمة من سمات مرحلة التمييز (الطفولة المتأخِّرة)، ويشكِّل رافعة تعليميَّة تبادليَّة وتشاركيَّة بين الطفل وأقرانه من خلال مواقف اللعب الجماعيِّ المختلفة في ساحات اللعب، ولذلك لا بد من مراقبة الطفل مع من يلعب من الأطفال؛ لأنَّه يكتسب العادات والتصرُّفات منهم، سواء أكانت محمودة أم مذمومة.

كما أنَّ اللعب الجماعي يسوقه تارة إلى الانتصار مع رفاقه وتقاسم الفرحة، وتارة أخرى يسوقه اللعب إلى تقبُّل الهزيمة والاستشفاء منها، ثمَّ محاولة الانتصار مرَّة أخرى.

ويمكن القول أنّ للَّعب الجماعيِّ جملة من الفوائد والقيم[٢٥٨]:

١. القيمة الجسديَّة: إنَّ اللعب النشيط ضروري لنموِّ العضلات للطفل، فمن خلال اللعب، يتعلم مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء.

٢. القيمة التربويَّة:إنَّ اللعب يفسح المجال أمام الطفل كي يتعلم

بن عمر عن أبي سلمة وذكره.

أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب ما جاء في زيد بن ثابت، ج٩، ص٥٧٣، ح رقم ١٥٨٥١.

أخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج٢،ص٣٦٠ من طريق محمد بن عبدالله الأنصاري عن محجمد بن عمرو عن أي سلمة عن ابن عباس.

ب- الحكم عليه:

قال عنه ابن حجر إسناده صحيح، الإصابة، ج٢، ص٥٩٤.

(٢٥٨) عبد الباسط محمد السيد،المنهج النبوى فى تربيه الطفل، ط/١،مكتبة ألفا،مصر،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ص ٣٠٩،٣٠٨.

الشيء الكثير من خلال أدوات اللعب المختلفة، كمعرفة الطفل للأشكال المختلفة، وفي كثير من الأحيان يحصل الطفل على معلومات من خلال اللعب، لا يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى.

٣. القيمة الاجتماعيَّة: يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يبني علاقات اجتماعيَّة مع الآخرين، ويتعلم كيفيَّة التَّعامل معهم بنجاح، كما يتعلم من خلال اللعب التعاونيِّ واللعب مع الكبار الأخذ والعطاء.

٤. القيمة الخلقيَّة: يتعلم الطفل من خلال اللعب بعض مفاهيم الخطأ والصَّواب، كما يتعلم بشكل مبدئي بعض المعايير الخلقيَّة كالعدل، والصدق، والأمانة، وضبط النَّفس، والرُّوح الرياضية، هذا إذا كانت المجموعة تتحلى بمثل هذه الأخلاق.

٥. القيمة الإبداعيَّة: يستطيع الطفل عن طريق اللعب أن يعبِّر عن طاقاته الإبداعية، وان يجرِّب الأفكار التي يحملها.

٦. القيمة الذاتيَّة: يكتشف الطفل عن طريق اللعب الشيء الكثير عن نفسه، كمعرفة قدراته ومهاراته من خلال تعامله مع زملائه ومقارنة نفسه بهم، كما انَّه يتعلم من مشاكله وكيفيَّة مواجهتها.

٧. القيمة العلاجيَّة: يصرّف الطفل عن طريق اللعب التوتُّر الذي يتولَّد نتيجة القيود المختلفة التي تفرض عليه، ولذا نجد أنَّ الأطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود والأوامر والنواهي، يلعبون أكثر من غيرهم من الأطفال، كما أنَّ اللعب وسيلة من أحسن الوسائل لتصريف العدوان المكبوت.

ولقد لبَّت السنَّة النَّبويَّة حاجات الطفولة من اللعب الجماعي في هذه المرحلة من خلال مايلي:

الفرع الأول: اللعب مع الصِّبيان.

وعن انس بن مالك - رضي الله عنه- قال: ((كان رسول الله - ﷺ- من أحسن الناس خُلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السُّوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت نعم، أنا أذهب يا رسول الله)) (٢٥٩).

((والله لا أذهب)) انطلق الحلف من غلام غير مكلف، وبالتَّالي عندما أمره الرَّسول أن

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً، ج٥، ص١٨٠٥، ح رقم ٢٣١٠. قال حدثني أبو معن الرقاشي زيد بن يزيد أخبرنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة وهو ابن عمار قال اسحاق قال أنس وذكره.

وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود،كتاب الآداب،باب في الحلم وأخلاق النبي،ج٤،ص٢٤٦،ح رقم ٤٧٧٣ من طريق عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار عن اسحاق عت أنس وذكره

يذهب ذهب، وأنَّ عمر أنس كان عندها ما بين ٧-٩سنوات[٢٦٠]. وفيه من الآداب الكثير ومنها:

١. الضَّحك في وجه الغلام إذا نسي أمراً قد كُلّف بتنفيذه.

٢. اللوم بطريقة لبقة ((أذهبت حيث أمرتك؟)).

٣. التَّصغير للتحبُّب؛ لكيلا ينفر الغلام من الأمر ويقوم برغبة ((نعم أنا أذهب يا رسول الله)).

٤. حبّ اللعب مع الصِّبيان لدرجة أنَّه نسي الحاجة التي أرسله من أجلها النَّبي - ﷺ-.

٥. اقتران خطاب التحبُّب مع المزاح، وهو ما يميل إليه أطفال هذه المرحلة ((قد قبض بقفاي)).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: ((كنت ألعب مع الصِّبيان، فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب، فحطأني حطأة وقال اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثمَّ قال لي اذهب فادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت هو يأكل، فقال ((لا أشبع الله بطنه))[٢٦١]. وقوله حطأه: هو الضَّرب باليد مبسوطة بين الكتفين، وإنَّما فعل هذا بابن عباس ملاطفة وتأنيساً. وفي الحديث جواز ترك الصبيان يلعبون بما ليس بحرام، وفيه اعتماد الصَّبي فيما يرسل فيه من دعاء ونحوه، وحمل هديَّة، وطلب حاجة وأشباهه[٢٦٢].. وأمَّا دعاؤه على معاوية أن لا يشبع حين تأخَّر، ففيه أنَّه جرى على اللسان بلا قصد، والثاني عقوبة له لتأخُّره، وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أنَّ معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلهذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية؛ لأنَّه في الحقيقة يصير دعاء له[٢٦٣].

الفرع الثاني: لعب البنات الجماعيِّ بالدمى:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ((كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمّعن منه، فيُسَرِّبُهُنَّ إليّ، فيلعبن معي))[٢٦٤]. ومعنى يتقمّعن: أي يتغيَّبن ويدخلن في البيت أو من وراء ستر[٢٦٥]،

---

(٢٦٠) انظر العظيم أبادي، عون المعبود، ج١٣، ص٩٠.

(٢٦١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو، ج٤، ص٢٠١٠، ح رقم ٢٦٠٤ قال: حدثنا محمد بن المثنى العنزي وحدثنا ابن بشار (واللفظ لابن المثنى) قال حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس وذكره.

أخرجه، احمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص٣٣٥، رقم ٣١٠٤ من طريق أبي عوانه عن عن أبي حمزة عن ابن عباس بلفظ كنت غلاما أسعى مع الغلمان فالتفت فإذا أنا بنبي الله ﷺ خلفي مقبلا فقلت ما جاء بنبي الله ﷺ إلا إليّ قال فسعيت حتى أختبئ وراء باب دار قال فلم أشعر حتى تناولني فأخذ بقفاي فحطأني حطأة فقال اذهب فادع لي معاوية وكان كاتبه فسعيت فأتيت معاوية فقلت أجب نبي الله ﷺ فإنه على حاجة.

(٢٦٢) النووي، المنهاج " شرح النووي على مسلم" ج١٦، ١٥٦.

(٢٦٣) النووي، المنهاج " شرح النووي على مسلم" ج١٦، ١٥٦.

(٢٦٤) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس وقال ابن مسعود: خالط الناس ودينك لاتكلمنه والدعابة مع الاهل ن ج٥، ص ٢٢٧٠، ح رقم ٥٧٧٩ قال حدثنا محمد أخبرنا أبو معاوية حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها وذكرته.

أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، ج٤، ص١٨٩٠،

ويُسَرِّبُهُنَّ: أي يبعثهن ويرسلهن إليّ.[٢٦٦] وفيه حبّ البنات اللعب في هذه المرحلة مع الصويحبات. وكان الرسول ﷺ يعرف سنَّ عائشة ورغبتها في اللعب مع الصاحبات، فيقوم بإرسالهن للعب مع عائشة، والحديث فيه تدريب النِّساء في صغرهنَّ لأمر أنفسهنَّ وبيوتهنَّ وأولادهنّ، قال: وقد أجاز العلماء بيعهنَّ وشراءهنَّ، ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهنّ. ويسربهن الواحدة تلو الأخرى من لطفه ﷺ وحسن معاشرته.[٢٦٧]

وفي الحديث والشُّروح أمور منها[٢٦٨]:

١. جواز اتِّخاذ العرائس للّعب - على شكل البنات- وجواز بيعها للبنات الصِّغار.

٢. أنَّ الفائدة من ذلك تدريب البنات من صغرهنَّ على أمر بيوتهنَّ وأولادهنّ.

٣. جواز لعب الزَّوجة صغيرة السنِّ مع صويحباتها في دارها، والفسحة في ذلك.

الفرع الثالث: تشجيع الصبيان على مسابقات الجري:

ويروى عن عبدالله بن الحارث رحمه الله: ((كان رسول الله ﷺ يصفّ عبدالله وعبيدالله وكثيراً بني العباس ثمَّ يقول: من سبق إليّ فله كذا وكذا، قال: فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيقبِّلهم، ويلزمهم))[٢٦٩].

وتكون ألعاب الجري واللمس والمطاردة إحدى سمات هذه المرحلة من عمر الإنسان، حيث يحبِّ السِّباقات نظراً لبروز ملامح الشّخصيَّة المستقلة؛ وذلك من أجل إثبات نفسه ووجوده بين التلاميذ من جهة، وتصريف طاقته من جهة أخرى، ويزيد حبّ الأطفال لمعلمهم تشجيعهم على مثل هذه المسابقات، عدا عن الالتزام والتقبيل.

ح رقم ٢٤٤٠

أخرجه أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الادب، باب في اللعب بالبنات. ج٢ن ص٧٠٠، ح رقم ٤٩٣١ بلفظ كنت ألعب بالبنات فربما دخل عليّ رسول اله ﷺ وعندي الجواري فإذا دخل خرجن وإذا خرج دخلن كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

(٢٦٥) انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٢٩٤.

(٢٦٦) انظر ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر والحديث، ج٢، ص٣٥٦.

(٢٦٧) انظر ابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص ٥٢٧، والنووي، المنهاج، ج١٥،ص٢٠٤..

(٢٦٨) حامد أحمد الطاهر، الموسوعة الإسلامية في تربية الأولاد، ج٢، ط١، دار الفجر للتراث، ٢٠٠٧م، ص٣٦١

(٢٦٩) أ- التخريج:

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٢١٤، ح رقم ١٨٣٦، قال حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث وذكره.

أخرجه أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج٢، ص ٩٦٤، ح رقم ١٨٨٦ من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبدالله بن الحارث وذكره.

ب- الحكم على الحديث:

قال الهيثمي: رواه أحمد وإسناده حسن، مجمع الزوائد، ج٩، ص٤٦٥ فالحديث اسناده حسن.

المطلب الثالث: تنمية شخصيَّة الطفل.

إنَّ الشخصيَّات الإسلاميَّة التي تربَّت في بيت النبوَّة وأكناف بيت النبوَّة، تعتبر النواة الصَّلبة التي قادت العالم الإسلامي بخاصَّة، والعالم أجمع في ذلك الوقت بعامَّة، وكانوا الطليعة في عصر التَّابعين.

وكان أهمّ ما يميِّز الشخصيَّة التي تربَّى عليها ذلك الجيل الفريد الانسجام مع الفطرة، وتكامل الشخصيَّة، والأثر والحراك في الوسط الذي عاشوه يومها، فأثروا في الحياة أيّما تأثير، وأخذت الإزاحات الجغرافيَّة والفتوحات الإسلاميَّة تطوى أمام الحضارة الإسلاميَّة المتمددة.

يقول علماء النَّفس في جامعة شيكاغو وعلى رأسهم أندروز: ((إنَّ تعريف الشخصيَّة - كما يتميَّز مجالها عن غيره من المجالات التي يهتمَّ بها علم النَّفس- أصبح يتضمن فكرتين أساسيَّتين على الأقل، هما: التكامل، والوحدة الفريدة، بينما تتَّجه وجهات أخرى من البحوث النفسيَّة نحو هذا أو ذاك من قطاعات السُّلوك، فإنَّ الشخصيَّة تشير دائماً في ناحية إلى نشاط الإنسان كله، وفي ناحية أخرى إلى هذه الوجهات من التَّكامل التي تميِّز أيَّ فرد عن قرينه)) (٢٧٠).

ففي هذه المرحلة تتطوَّر شخصيَّة الطفل تطوُّرا سريعاً، مستفيدا من البيئة المحيطة كثيراً، أو من الخبرات، سواء أكانت من الوالدين أوالأشقّاء أوالرفاق أوالمدرسة، وتكثر أيضا الخبرات التي يتعرَّض لها في مرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة) لتشكِّل قوام شخصيَّته المتكاملة.

وتعتبر الطفولة هي أطول فترة بين الكائنات الحيَّة، وتتميَّز الطفولة البشريَّة كذلك بالمرونة، والصَّفاء، والفطريَّة، يستطيع المربِّي خلال هذه الفترة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجِّهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرَّف على إمكاناته، ويتنبّأ بمستقبله بقدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرِّعاية والإشراف والتوجيه، كلما كانت أثبت وأرسخ أمام الهزَّات المستقبليَّة التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه.

وإذا تأمَّلنا حركة التاريخ، وجدنا أهميَّة بناء وتكوين الشَّخصية القويَّة، فلا تغيِّير للواقع الفاسد المنحرف عن منهج الله من غير قوَّة، ولا قوَّة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد وتكوين وتربيه (٢٧١).

يقول الدكتور (هنري فالون): ((إنَّ تطوُّر الشخصيَّة يستمدُّ أصله من البدايات الأولى للحياة النفسيَّة في المرحلة الانفعاليَّة، فتطوُّر ونموِّ الشخصيَّة يتأثَّر بلا مراء تأثرا عميقا بردود الأفعال الغائرة أو الكامنة أو السابقة، وهي ردود الأفعال المنبثقة عن الحياة العصبية، وأوَّل وعي باتِّصال الشخص بالوسط أو البيئة من النوع هو الانفعال، والفترة

---

(٢٧٠) أندروز وآخرون، مناهج البحث في علم النفس، ج ٢، ترجمة يوسف مراد، ط / ٢، دار المعارف، القاهرة – مصر ١٩٦٨ م، ص ٧٤٥

(٢٧١) أنظر محمد نور سويد، منهج التربية النبوية، للطفل، ط / ٢، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م، ص ٢٠٤

من السَّابعة إلى الثانية يتَّجه فضول الطفل وفعله صوب العالم الخارجي، حيث يتابع تمهنة في المهارات، وتواصله في الشخصية نحو الاستقلال المتزايد، ويبدو تكيّفه بالبيئة أو الوسط قد اقترب جدًّا من تكيف البالغ)) [٢٧٢].

ويقول الدكتور نعيم الرفاعي مؤكِّدا على تأثير الوراثة والعوامل الاجتماعيَّة في بناء الشخصيَّة: ((تمثل حياة الطفل في المسكن مع أسرته مكانة هامَّة في تكوين شخصيَّته، لا يعود ذلك إلى كون الأسرة أوَّل ما يلقَّاه الطفل أمامه حين يبدأ التعلم فحسب، بل يعود كذلك إلى طول إقامته في البيت، وإلى العوامل العاطفيَّة التي تربط بينه وبين أفراد أسرته، إنَّنا يجب أن نثبت فوق ما ذكر أنَّ العوامل الوراثيَّة التي يحملها الفرد معه تحتلُّ مكانة في تكوين شخصيَّته، وكثير من علماء النَّفس وعلماء الاجتماع يميلون إلى تأكيد العوامل الاجتماعيَّة، وإضعاف أثر العوامل الوراثيَّة، باعتبار أنَّها غير محدودة، ومع ذلك لا نستطيع إلا أن نُؤكِّد المكانة التي تمثلها العوامل الوراثيَّة في بناء الجسد الذي يعتبر قاعدة الشخصَّية، وفي الطاقات الأساسيَّة للفرد، فهي تؤثر في طاقات الفرد على التعلم، وزمن ردِّ الفعل، ومستوى النَّشاط والقوة الجسدية، ومقدار التحمُّل، وإمكانات نموِّه، ومحل هذه الجوانب ذو أثر في تكوين الشخصيَّة ونموها)) [٢٧٣].

الفرع الأوَّل: تقدير ذات الطفولة واحترام الشخصية:

فعن سهل بن سعيد - رضي الله عنه- قال : ((أُتى النبيُّ ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ قال: ما كنت لأوثِر بفضلي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إيَّاه)) [٢٧٤].

([٢٧٢]) أنظر هنري فالون، التطور السيكولوجي للطفل، ترجمة نظمي لوقا، دار النهضة مصر – القاهرة، ١٩٧٨ ص ص ١٣٧ – ١٤٢

([٢٧٣]) نعيم الرفاعي، الصحة النفسية، دراسة في سيكولوجية التكيف، ص ١٣٨.

([٢٧٤]) أخرجة البخاري، صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، ج ٢، ص ٨٢٩، ح رقم ٢٢٢٤ قال حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان قال حدثني أبو حازم عن سهل بن سعيد رضي الله عنه وذكره .

وكتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، ج ٢ ص ٨٣٤، ح رقم ٢٢٣٧، بلفظ (ما كنت لأوثر بنصيبي منك أحدا يا رسول الله...) كتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أحله ولم يبينه، ج ٢، ص ٨٦٥، ح رقم ٢٣١٩ بلفظ (والله يارسول لا أوثر بنصيبي منك أحدا، فتله رسول الله ﷺ في يده) ومعنى تله اي وضعه =بيدة بعنف، وكتاب الهبة، باب هبة الواحد للجماعة، ج ٢، ص ٩١٩، ح رقم ٢٤٦٢، وكتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه في الشراب، ج ٥، ص ٢١٣٠، ح رقم ٥٢٩٧ .

وأخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استجاب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ و ج ٣، ص ١٦٠٤ و ح رقم ٢٠٣٠ من طريق أبي حازم بن دينار عن سهل بن سعد الأنصاري

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد حنبل، ج ١،ص ٢٢٠، ح رقم ١٩٤٠ بلفظ " الشربة لك وإن شئت آثرت بها خالدا " من طريق بن جدعان عن عمرو بن حرملة عن ابن عباس .

وأخرجه أبن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الأشربة باب إذا شرب أعطى الأيمن فالأيمن و ج ٢ ص١١٣٣، ح رقم ٣٤٢٦ قال أتي رسول الله ﷺ بلبن وعن يمينه ابن عباس وعن يساره خالد بن الوليد. فقال رسول الله ﷺ لابن عباس (أتأذن لي أن أسقي خالدا) قال ابن عباس: ما أحب أن أوثر بسؤر رسول الله ﷺ على نفسي أحدا، فأخذ أبن عباس

وقوله أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ظاهر في أنَّه لو أذن له لأعطاهم، ويؤخذ منه جواز الإيثار بمثل ذلك[٢٧٥].

وفي الحديث بيان السُّنة الواضحة، وهو موافق لما تظاهرت عليه دلائل الشرع من استحباب التيامن في كل ما كان من أنواع الإكرام، وفيه أنَّ الأيمن في الشراب ونحوه يقدّم، وإن كان صغيرا أو مفضولا، أمَّا تقديم الكبار والأفاضل فهو عند تساوي باقي الأوصاف؛ ولهذا يقدّم الأعلم والأقرأ على الأسنّ النسيب في الإمامة في الصَّلاة[٢٧٦].

إنَّ الاعتراف بحقوق الأطفال والاستجابة لمطالبهم أمر لازم وضروري لصحَّة الطفل النفسيَّة، وبناء الشخصيَّة القويَّة والمتَّزنة، مبتعدين بهم عن الجنوح والانحراف، أو حتى التحايل والنفاق للحصول على حقوقه ومطالبه، كذلك ((إنَّ إعطاء الطفل حقَّه، وقبول الحقِّ منه، يغرس في نفسه شعوراً إيجابيًّا نحو الحياة، ويتعلم أنَّ الحياة أخذ وعطاء، وكذلك فإنَّه تدريب للطفل على الخضوع للحقّ، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحقِّ ورضوخه له، تتفتّح طاقته لترسم طريقها في التَّعبيرعن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدِّي إلى كبتها وضمورها[٢٧٧])).

ولا يهمُّ هنا من على اليمين أكان الغلام الفضل بن العباس أم عبد الله بن عباس، وعلى الشمال خالد بن الوليد - رضي الله عنهم أجمعين - أم غيرهم - كما تشير الرِّوايات السابقة – المهمُّ هنا أنَّ ذات الطفولة لها شأن عظيم وتعامل كوحدة في جسد الأمَّة؛ لأحقيَّتها كنسمة مؤمنة من جهة، وأنَّها مفردة مخصوصة بالتَّربية والتَّوجيه، والأخذ برأيها كغيرها من جهة أخرى.

ثمَّ يؤخذ درس بعيد من الحديث، وهو أنَّه يُشعَر الصَّغير باحترام من هو أكبر منه سنًّا ومنزلة، دونما تعنيف له بخطاب إن تمسَّك بحقِّه ودوره.

الفرع الثاني: الشعور بالاستقلاليَّة.

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - ((أنَّه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النَّبي ﷺ يفعله))[٢٧٨].

وفيه استحباب السَّلام على الصِّبيان المميَّزين، والندب إلى التَّواضع، وبذل السلام للناس كلهم، وبيان تواضعه ﷺ وكمال شفقته على العالمين، واتَّفق العلماء على استحباب

فشرب وشرب خالد. من طريق ابن شهاب عن عبيدالله عن ابن عباس رضي الله عنه.

أخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد حنبل، ج ١،ص ٢٢٠، ح رقم ١٩٤٠ بلفظ " الشربة لك وإن شئت آثرت بها خالدا " من طريق بن جدعان عن عمرو بن حرملة عن ابن عباس .

[٢٧٥] أبن حجر، فتح الباري، ج ١٠، ص ٨٧

[٢٧٦] النووي، شرح النووى عن مسلم، ج ١٣، ص ٢٠٠

[١] محمد نور سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٩٨ .

[٢٧٨] سبق تخريجه ص ٢٨.

السلام على الصبيان [٢٧٩].

وفيه دلاله على كينونة الصَّغير، وتعليمه وتدريبه على الخطاب مع الكبار والجرأة على الحديث. وتبادل الكلمات من خلال التخاطب بالسلام؛ ليتعود شيئا فشيئا على الاستقلاليَّة في الطرح من جهة، ومن جهة أخرى قبول رأيه والطمأنينة على أنَّه موضع قبول؛ ليصبح مستقبلا ذو شخصية قويَّة لها رأيها وكيانها.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: ((إنَّ أمرأة جاءت إلى رسول الله - ﷺ- فقالت: فداك أبي وأمي، إنَّ زوجي يريد أن يذهب بابني، وقد نفعني، وسقاني من بئر أبي عنبه، فجاء زوجها وقال: من يخاصمني في ابني، فقال: يا غلام هذا أبوك، وهذه أمّك فخذ بيد أيهما شئت، فأخذ بيد أمِّه فانطلقت به)) [٢٨٠].

---

(٢٧٩) النووي، شرح النووى عن مسلم، ج ١٤، ص ١٤٩ .

(٢٨٠) أ- التخريج :

أخرجه النسائي، سنن النسائي الكبرى، كتاب الطلاق، باب إسلام أحد الزوجين وتخيير الولد، ج ٦، ص ١٨٥، ح رقم ٣٤٩٦، قال أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا خالد قال : حدثنا بن جريج قال : أخبرني زياد عن هلال بن أسامة عن أبي ميمونة قال بينما أنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وذكره .

وأخرجه عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، تحقيق عبدالرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ، ج ٧، ص ١٥٧، ح رقم ١٢٦١١ .

وأخرجه الدارمي، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ، كتاب الطلاق، باب في تخيير الصبي بين أبويه، ج ٢، ص ٢٢٣، ح رقم ٢٢٩٣.

وأخرجه ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب تمييز الصبي بين أبويه، ج ٢، ص ٧٨٧، ح رقم ٢٣٥١.

وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطلاق باب من أحق بالولد، ج ١، ص ٦٩٣، ح رقم،٢٢٧٧ كلهم من طريق أبن جريج.

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٤٦، ح رقم ٧٣٤٦.

وأخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في تخيير الغلام بين أبويه إذا أفترقا، ج ٣، ص ٦٣٨، ح رقم ١٣٥٧ .

وأخرجه الحاكم، المستدرك عن الصحيحين، ج ٤، ص ١٠٨، ح رقم ٧٠٣٩، ثلاثتهم من طريق سفيان بن عينية عن زياد بن سعد بن هلال أبن أبي ميمونة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ب – الحكم على الحديث :

قال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح وأبو ميمونة اسمه سليم، سنن الترمذي، ج ٣،ص ٦٣٨، وصحح أسناده الحاكم، المستدرك، ج ٤، ص ١٠٨ .

ورجاله ثقات غير أبي ميمونة وهو عند ابن حجر ثقة، تقريب التهذيب، ص ٦٧٧، ووافقه الذهبي، الكاشف ج ٢، ص ٤٦٦ .

فالحديث: إسناده صحيح.

وقال الترمذي: والعمل عند بعض أهل العلم من أصحاب النَّبي - ﷺ- وغيرهم قالوا: يخيَّر الغلام بين أبويه إذا وقعت بينهما المنازعة في الولد، وهو قول أحمد وإسحاق، وقالا: ما كان الولد صغير فالأمُّ أحقُّ به، فإذا بلغ الغلام سبع سنين خيِّر بين أبويه [٢٨١]، والظاهر أنَّ المراد به الغلام المميز[٢٨٢].

الفرع الثالث: التَّدريب على القيادة وتحمِّل المسؤوليَّة.

عن عمر بن سلمة قال: قال لي أبو قلابة: ألا تلقاه ؟ قال: فلقيته فسألته، فقال: كنَّا بماء ممر الناس، وكان يمرُّ بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون يزعم أنَّ الله أرسله أوحى إليه. أو أوحى الله بكذا فكنت أحفظ ذلك الكلام وكأنما يقر في صدري، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح، فيقولون أتركوه وقومه، فإنَّه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلمَّا كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلمَّا قدم قال: جئتكم والله من عند النَّبي ﷺ حقًّا فقال: ((صلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا))، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منِّي لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عنِّي، فقالت امرأة من الحي ألا تغطون عنا أست قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص[٢٨٣].

قوله: قلصت: أي انجمعت وأرتفعت.[٢٨٤]

---

(٢٨١) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٢، ص ٦٣٨.

(٢٨٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ٤، ص ٤٩١.

(٢٨٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد الفتح، ج ٤، ص ١٠٥٦٤، ح رقم ٤٠٥١ قال حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن عمر بن سلمه وذكره .

وأخرجه أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٢٩، ح رقم ٢٠٣٤٧ من طريق مسعر بن حبيب الجرمي عن عمر بن سلمة رضي الله عنه عن أبيه بزيادة "فما شهدت مجتمع بني جرم إلا كنت أمامهم، وكنت أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا".

وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج ١، ص ٢١٥، ح رقم ٥٨٥ بلفظ(... فكنت أؤمهم وأنا ابن سبع سنين أو ثمان سنين)

وأخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب الإمامة، باب إمامة الغلام قبل أن يحتلم، ج ٢، ص ٨٠، ح رقم ٧٨٩ (بلفظ فكنت أؤمهم وأنا ابن ثمان سنين).

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج ٣، ص ٩١، ح رقم ٤٩١٦، بلفظ " ... فقدموني بين أيديهم وأنا ابن سبع سنين أو ست سنين وكانت علي بردة فإذا سجدت تقلصت عني "، من طريق أيوب السختياني عن أبي قلابة عن عمر بن سلمة رضي الله عنه

(٢٨٤) أبن حجر، فتح الباري، ج ٨، ص ٢٣.

ويستفاد من الحديث مقدرة الصَّغير في هذه المرحلة على الحفظ، والتلقي للخطاب، وثباته من الطفولة حتى الممات، وكان هذا فعل عمرو بن سلمه عندما كان يسأل الركبان، فكان يحفظ ويقر ذلك في صدره، وبقي إماماً حتى موته، ولذلك يستثمر هذا العمرمن حياة الإنسان في حفظ كتاب الله تعالى.

والطفل تبدو علامات الإقدام عنده إذا تمَّ تشجيعه ((فقدموني بين أيديهم))، وتبقى روح القيادة والإقدام والثبات وعدم التردد إلى كبره ((وكنت أصلي على جنائزهم إلى يومي هذا))، من طريق مسعر بن حبيب الجرمي.

ويستفاد أيضا بأنَّ العبادات تبدأ عنده من السابعة؛ كون الطفل أصبح مميزاً. ويستفاد منه المحافظة على تعهِّد لباس الصغير، وستر عورته، وحبِّه وفرحه باللباس الجديد.

وتبدأ ملامح الشخصية بالظهور، ويلاحظ المربِّي على التِّلميذ ميولاته القياديَّة وتنميتها وصقلها؛ حتى يكون أحد قادة المستقبل في ميدان من ميادين الحياة المختلفة.

يقول الدكتور محمود عمارة: ((إنَّ سوء استغلال القوَّة العصبيَّة لدى الطفل يتجه به إلى الجبن والحقد والنفاق، بقدر ما يؤدِّي حسن رعايتها إلى الجرأة والشهامة والعفو...))(٢٨٥).

إنَّ دافع الخوف والخجل عند الآباء على الأبناء يجعلهم كثيرا ما يمنعون أبناءهم من التجارب العمليَّة، واكتساب المهارات المختلفة، وحرمانهم من تمثيل الأدوار القياديَّة وتقمصها، فعندها يكبر الطفل مقودا لا قائداً، متلقياً لا مبادراً!.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: ((أسرَّ إليَّ النَّبيُّ ﷺ سرًّا فما أخبرت به أحدا بعده، ولقد سألتني عنه أمُّ سليم فما أخبرتها به)).(٢٨٦)

---

(٢٨٥) محمود محمد عمارة، تربية الأولاد في الإسلام . من الكتاب والسنة، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر، ص ٢١١

(٢٨٦) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب حفظ السر، ج ٥، ص ٢٣١٨، ح رقم ٥٩٣١، قال حدثنا عبد الله بن صباح حدثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه وذكره .

أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، ج ٤، ص ١٩٢٩، ح رقم ١٤٤ – ٢٤٨٢ من طريق معتمر بن سليمان قال سمعت أبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه بنحوه.

وأخرجه أيضا، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، ج ٤، ص ١٩٢٩، ح رقم ١٤٥ – ٢٤٨٢، بلفظ " أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا العب مع الغلمان قال: فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمي فلما جئت قالت ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة قالت ما حاجته ؟ قلت إنها سر قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس والله لو حدثت به أحدا لحدثتك يا ثابت. من طريق حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد، مسند أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٢٣٥، ح رقم ١٣٤٩٤، بزيادة" ثم أخذ بيدي فأرسلني في رسالة وقعد في ظل جدار او في جدار حتى رجعت إليه " من طريق عبد الله الأنصاري عن حميد الطويل عن أنس بن مالك .

وأخرجه أيضا، ج ٣، ص ٢٨٠، ح رقم ١٤٠١١، بلفظ " أن للنبي ﷺ عندي سرا لا أخبر به أحدا ابداً حتى القاه " من طريق هاشم بن القاسم عن عيسى بن طهمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال ابن حجر: ((كأنَّ هذا السرّ كان يختصُّ بنساء النَّبيِّ ﷺ وإلا فلو كان من العلم ما وسع أَنَسا كتمانه، قال ابن بطال: الذي عليه أهل العلم أنَّ السرَّ لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرَّة، وأكثرهم يقول أنَّه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة، قلت: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح، وقد يستحبّ ذكره ولو كره صاحب السرّ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة، أو منقبة، أو نحو ذلك، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به)) (٢٨٧).

وحتى يصان الفرد وتبقى مهابته في النفوس، وحتى يحفظ البيت والمجتمع من الاضطراب، وعدم انتشار أسراره وذياعها لدى العامَّة، وتغلق مكامن الشبهات والشائعات، لا بدَّ من تعويد الصِّغار على حفظ الأسرار، وتمثل ذلك تماما بدور الأمِّ في التربية بقول أمِّ أنس لابنها: ((لا تحدثن بسرِّ رسول الله ﷺ)).

وهذا الخُلق أيضا يجعل من الطفل((الذي يتعود كتم الأسرار قوي الإرادة، رابط الجأش، ضابط اللسان، فتنشأ عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس بحفظ أسرار بعضهم بعضا)).[٢٨٨]

ويمكن تعويد الطفل من بداية المرحلة بحفظ بعض الأسرار التي لو نشرت لما أحدثت على الأفراد والأسر شيئا عن طريق الاختبار، ثم يتطوَّر الطفل شيئا فشيئا، إلى أن يتعود على كتمها في نهاية المرحلة، وهذا من شأنه أن يشعر الطفل باحترامه كعضو في الأسرة، يحمي حماها، ويدافع عن أسرارها شأنه شأن الكبار.

وكذلك حديث أخر عن حفظ الأسرار وتحمِّل المسؤوليَّة، يقول عبد الله بن جعفر: ((أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس، أو كان أحبّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفا أو حائش نخل، قال ابن أسماء في حديثه يعني حائط نخل)) [٢٨٩].

والهدف ما ارتفع من الأرض، والحائش البستان[٢٩٠]، وفيه إشارة على قرب الصِّغار من الرسولﷺ بدلالة الرُّكوب خلفه.

---

(٢٨٧) ابن حجر، فتح الباري، ج ١١، ص ٨٢

(٢٨٨) محمد نور، سويد، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٣٠٥.

(٢٨٩) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحيض باب ما يستتر به لقضاء الحاجة، ج ١، ص ٢٦٨، ح رقم ٣٤٢ قال حدثنا شيبان بن فروخ وعبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي قالا حدثنا مهدي (وهو ابن ميمون) حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر قال وذكره.

وأخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد باب ما يؤمر به القيام على الدواب والبهائم، ج ٢، ص ٢٧، ح رقم ٢٥٤٩ .

وأخرجه الحاكم، المستدرك، كتاب الجهاد، ج ٢، ص ١٠٩، ح رقم ٢٤٨٥ كلاهما ذكروا الحديث مشتملا على قصة الجمل الذي ذرفت عيناه، من طريق عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد مولى الحسين بن علي بن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه .

(٢٩٠) أنظر السيوطي، شرح السيوطي على مسلم، ج ٢، ص ٩٥.

الفرع الرابع: تنمية حبِّ المغامرة والإقدام.

وتظهر علامات تحمُّل المسؤوليَّة وحبِّ المغامرة في نهاية المرحلة، فيقول عروة بن الزبير عن أبيه قال: ((أوَّل سيف سلَّ في سبيل الله سيف الزبير، نفحت نفحة من الشيطان: أنَّ النبي ﷺ أخذ بأعلى مكَّة فخرج الزبير بسيفه يشقُّ الناس، فلقيه النبي ﷺ فقال: مالك يا زبير؟ قال: أخبرت يا رسول الله أنَّك أخذت، قال: فدعا له النبي ﷺ ولسيفه)) (٢٩١).

وتظهر الملامح الشخصيَّة الفرديَّة بالبروز، ((ويبدأ تأثير النمط الثقافي العام، وتنمو فرديَّة الطفل وشعوره بفرديَّة غيره من النَّاس، ويزداد الشعور بالمسؤوليَّة)) (٢٩٢).

وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة، ومعه سيف، فمن رآه ممَّن لا يعرفه قال: الغلام معه سيف، حتى أتى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ مالك يا زبير؟ قال أخبرت أنَّك أخذت، قال: فكنت صانعاً ماذا؟ قال: كنت أضرب به من أخذك، قال: فدعا له رسول الله ﷺ ولسيفه، وكان أوَّل سيف سلَّ في سبيل الله(٢٩٣).

إنَّ نظرة فاحصة لسلوك الزبير وهو غلام يتوشح سلاح المعركة، وفعل الرَّسول تجاهه، يؤكد المعاني التالية:

١- عدم استغراب الرَّسول - ﷺ- لفعله ولم يصفه بالمتهور، لا بل توشح وساما خالدا مكتوبا عليه ((أوَّل من سلَّ سيفا في سبيل الله)).

---

(٢٩١) وأخرجه عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، ج١١، ص٢٤١، ح رقم ٢٠٤٢٩، قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة عن ابيه وذكره.

وأخرجه الحاكم، المستدرك، وج ٣، ص ٤٠٦، ح رقم ٥٥٥١ من طريق أبن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بلفظ " أبن إحدى عشرة سنة ".

(٢٩٢) حامد زهران، علم نفس النمو المراهقة، ص ٢٤٧.

(٢٩٣) أ- التخريج:

أخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الفيء والغنيمة، باب أعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية، ج ٦، ص ٣٦٧، ح رقم ١٢٨٦٣ من طريق الليث بن سعد عن أبي الأسود عن عروه بزيادة " وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة... فكنت صانعاً ماذا؟ قال: كنت أضرب به من أخذك قال فدعا له رسول الله _ﷺ_ ولسيفه وان أول سيف سل في سبيل الله ".

وأخرجه أبن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١٨، ص ٣٥١، من طريق جعفر بن المسلمة عن طاهر بن المخلص عن أحمد بن سليمان عن الزبير بن بكار عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب بنحوه.

ب) الحكم على الحديث:

رجالة ثقات إلا أن هشام بن عروة ثقة قال عنه ابن حجر:" ربما دلّس"، تقريب التهذيب، ص٥٧٣. ورواية معمر بن راشد عن هشام بن عروة، روايته شيئاً، تقريب التهذيب، ص٥٤١، قلت وإن لم يصرح بالسماع إلا ان للحديث متابعات برواية الحاكم عن طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة والبيهقي من طريق الليث بن سعد عن الاسود عن عروة، وطريق ابن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ترتقي بالحديث، فالحديث حسن بمجموع طرقه والله أعلم.

٢- الدُّعاء له ولسيفه كان بمثابة تعزيز له، ودافع للإقدام، ليكون أحد القادة العظام في غزوات الرسول - ﷺ- وكان كذلك.

٣- السؤال بالخطاب المباشر ((مالك يا زبير؟)) للاستفهام والغوص وراء الدَّافع للسُّلوك، فكان الدَّافع ((أخبرت أنَّك أخذت))، ثمَّ استفهام آخر ((فكنت صانعاً ماذا؟))، والإجابة الثانية: ((كنت أضرب به من أخذك))، فالجمل الاستفهاميَّة والخبرية هي أفضل أسلوب حوار مع تلك المرحلة.

٤- وفيه تعليم وتوجيه لمن بعده ﷺ بالدُّعاء لكلِّ شجاع ومقدام ولأسلحته.

٥- تربية والدته على الإقدام والجرأة، وهي عمَّة الرسول ﷺ حيث أسلم وعمره ثماني سنوات، وكان عمُّه يعلقه بحصير، ويدخن عليه النار، ويقول لعمِّه: لا أكفر أبدا[٢٩٤].

وكان في صدره كأمثال العيون من الطَّعن والرمي[٢٩٥] من الغزوات التي شارك فيها مع الرَّسول ﷺ.

وامتدحه حسَّان بن ثابت بشعره[٢٩٦]، فقال:

فكم كربة ذبَّ الزبير بسيفه ... عن المصطفى والله يعطي ويجزل

فما مثله فيهم ولا كان قبله ... وليس يكون الدَّهر ما دام يذبل

---

(٢٩٤) أنظر أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، ج ١، ص ٨٩

(٢٩٥) نفس المصدر السابق، ج ١، عن ٩٠

(٢٩٦) نفس المصدر السابق، ج ١، ص ٩٠

المبحث الثَّالث: تميّز الخطاب النبوي لغير البالغين.

المطلب الأوَّل: خصائص الخطاب النَّبويّ لغير البالغين.

يتميَّز خطاب الطفولة بجملة من الخصائص، أبرزها:

١- يتميَّز خطاب بدايات مرحلة ما قبل التمييز(الطفولة المبكِّرة) بالكلام المسجوع ((يا أبا عمير، ما فعل النغير))[٢٩٧]، ويعتبر الكلام الإقناعيّ التبريريّ والتِّكرار أساس الخطاب والتربية في نهاية المرحلة ((أخذ الحسين بن علي - رضي الله عنهما - تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: كخ كخ ليطرحها، ثمَّ قال: أما شعرت أنَّا لا نأكل الصدقة))[٢٩٨]، ويعتبر الخطاب الحواريُّ أساس مرحلة التمييز(الطفولة المتأخِّرة) فقال ﷺ: ((يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟ قال : ما كنت لأوثِر بفضلي منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه))[٢٩٩]، وقال للزبير بن العوام محاوراً: ((مالك يا زبير؟ قال: أخبرت يا رسول الله أن أُخذت، قال: فدعا له النبي ﷺ ولسيفه))[٣٠٠].

٢- تتكوَّن عدد كلمات الجملة من (ثلاث إلى ست كلمات) في مرحلة ما قبل التَّمييز (الطفولة المبكرة). ففي بداية المرحلة تتكوَّن الجملة من ثلاث كلمات ((يا أبا عمير، ما فعل النغير))[٣٠١]، وفي نهاية المرحلة تتكوَّن من ستِّ كلمات ((أما شعرت أنَّا لا نأكل الصَّدقة))[٣٠٢]، وهي كذلك تتناسب وتتدرَّج من حيث عدد الكلمات وعدد الجمل مع قدرات الطفل على الفهم والاستيعاب، الى أن تصل الى الجمل الكبيرة ذات الكلمات الكثيرة في مرحلة التمييز (الطفولة المتأخِّرة)، فقال: ((يا غلام، إنِّي أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعواعلى أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفَّت الصُّحف)) [٣٠٣].

٣- تشكَّلت كلمات الخطاب والحوار بعبارات سهلة، بعيدة كلّ البعد عن التَّعقيد والحوشي والغريب، فهي سهلة في نطقها ومضمونها، ممَّا تسهل على الطفل عمليَّات الحفظ والاستيعاب والإلقاء، فقال: ((هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهمَّ إنِّي أحبُّهما وأحبُّ من يحبّهما))[٣٠٤].

٤- عبارات الخطاب المناسبة للطفولة هي عبارات التحبُّب بتصغير الكلمات، مثل: ((أنيس، عمير، نغير))، والإثارة ولفت نظر الصبيان بعد حرف النداء ((يا غلام))، وأسئلة

---

[٢٩٧] سبق تخريجه ص (١١٣).
[٢٩٨] سبق تخريجه ص (٩٦).
(٢٩٩) سبق تخريجه ص (٩٤١).

(٣٠٠) سبق تخريجه ص (١٥٨).
[٣٠١] سبق تخريجه ص (١١٣).
[٣٠٢] سبق تخريجه ص (٩٦).
[٣٠٣] سبق تخريجه ص(٣٥).
[٣٠٤] سبق تخريجه ص (٧٦).

الاستفهام ((ما فعل النغير؟))، والأسئلة التعجُّبيَّة الإنكارية لبعض التصرُّفات ((أما شعرت أنَّا لا نأكل الصدقة))؟!.

٥- يتميَّز الخطاب للمرحلة بالتَّصريح والتوجيه المباشر، وبالملاحظة الأمريَّة الفوريَّة المباشرة دونما تأخير، وعدم الاكتفاء بالتَّلميح، لأنَّ الطفل في طور التَّشكيل والتَّهذيب ((... سمِّ الله، وكل بيمينك، وكل ممَّا يليك))[٣٠٥]، ولم يركِّز على العيوب، بل ما يجب أن يكون عليه الفعل ((كخ كخ، أما شعرت أنَّا لا نأكل الصدقة؟))[٣٠٦].

٦- كان النبي ﷺ يخاطب باللغة الفصيحة، ولا يتكسَّر بالكلام مع الصغار، كما يدَّعي بعض التربويين اليوم النُّزول إلى مستوى الطفل اللغوي!!، بل يتكلم الفصيحة للارتقاء بالصَّغير عن طريق المحاكاة والتقليد إلى مستوى الكبار لغويًّا. قال النبي ﷺ: ((هما ريحانتاي من الدنيا))[٣٠٧].

٧- مراعاة اهتمامات الطفل وميوله، فكان يأتي البنت الصغيرة وهي مفطورة على حبِّ التجمُّل، ويعطيها الخاتم ويقول لها: ((تحلي بها يا بنيّه))[٣٠٨]، ويأتي الطفل المتعلق بعصفوره، وقد رآه شغوفاً به وحزيناً على فقده ويقول له: ((يا أبا عمير، ما فعل النغير؟))[٣٠٩]، ويأتي الأطفال المفعمين بالحيويَّة والنشاط، ويحثهم على السَّبْق وهكذا...

٨- لقد حقَّق الخطاب أهدافاً تربويَّة سامية مع الأطفال، فتارة يخاطب الخيال الخصب عندهم، مقروناً باللعب الإيهامي بأنَّه يركب على كتف النبي ﷺ وكأنَّه يركب حصاناً، وتارة يعزِّزهم وينفخ فيهم حسَّ الرجولة، ومواقع تحمِّل المسؤولية ((ابني هذا سيِّد))[٣١٠]، وتارة أخرى يضيف الفعل للطير على سبيل التَّسلية والتسرية على ما أصابه من حزن ((ما فعل النغير؟))[٣١١].

٩- تميّز الخطاب النبويّ بمصداقيَّته مع الصغار، ويمكن القول إنَّ الطفل سيكتشف عاجلاً أم آجلاً عدم مصداقيَّة من يخاطبه إذا كان كاذبا، فيفقد تلك القيمة الأخلاقيَّة العالية وهي الصدق، ويتمثل ذلك في حديث عبد الله بن عامر عندما أرادت أن تعطية تمرة فيقول لها: ((أما أنَّك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة))[٣١٢].

المطلب الثَّاني: صفات النَّبيّ محمَّد -ﷺ- التَّربويَّة.

أوَّلاً: التواضع مع الصِّغار، فهو يتواضع ﷺ للخادم وللإماء وللكبير وللصغير...، وكان ينزل إلى مستواهم ليلامس شغاف قلوب الصِّغار، ويلاعبهم ((... إنَّ ابني ارتحلني

---

[٣٠٥] سبق تخريجه ص (٢٤).
[٣٠٦] سبق تخريجه ص (٩٦).
[٣٠٧] سبق تخريجه ص (٧٦).

[٣٠٨] سبق تخريجه ص (٨٦).
[٣٠٩] سبق تخريجه ص (١١٣).
[٣١٠] سبق تخريجه ص (٧٣).
[٣١١] سبق تخريجه ص (١١٣).
[٣١٢] سبق تخريجه ص (٨٩).

فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)) [313]، والحسن الصغير يصاحب النبي ﷺ الكبير ((جاءه يسعى حتى اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه)) [314].

ثانياً: الصَّبر على التَّربية، فالصَّبر زاد الدَّاعية، إن حمله كان له نصير وإلا بقي بمفرده، فكم جمع حوله من الأنصار والأتباع، ومنهم الصِّغار وأهلهم ومن حولهم، فهو يصبر على تربية الصغار ((...يا غلام سمّ اللهن وكل بيمينك، وكل ممَّا يليك، فما زالت طعمتي بعد)) [315]، فلو كان غيره ﷺ لقابل ذلك بالصُّراخ، علاوة على التقزُّز من الموقف، يقول الدكتور عبد الحميد أبو سليمان:

((الصَّبر والتَّربية صنوان لا يفترقان، لأنَّ العجز، والقصور، والتربية الخطأ، وحبّ الاستطلاع، والتجريب، هي من صفات الطفولة التي لا بدَّ من التعامل معها من مثل المربِّي بروح إيجابيَّة)) [316].

ثالثاً: الحلم: ينبغي للمربِّي أن يكون رحب الصدر، لا يضيق ولا يتبرم بالمتربين، بل ويرفق ويحلم عليهم، ويلتفت لأسباب الخطأ وليس على ظواهر الأحداث، وينطلق للتربية بالتَّوجيه مباشرة، يطرح التمرة من فيّ الحسين بقوله: ((كخ كخ، ليطرحها، ثمَّ قال: أما شعرت أنَّا لا نأكل الصَّدقة)) [317].

رابعاً: الرَّحمة والرَّأفة: فلا يصلح للتربية أبداً من كان القهر والمماحكة تربيته، وكذلك صاحب اللسان السليط والقلب الغليظ. وكان النبيُّ ﷺ عكس ذلك تماماً، يروي لنا أنس بن مالك منهجيته فيقول: ((ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ)) [318].

خامساً: الحصافة والذكاء عند المربِّي، لقد تمتَّع النَّبي ﷺ بهذه الصِّفة، وتمثل ذلك بقوله: ((ابني هذا سيِّد)) [319]، فالمربِّي الذي تتوافر فيه هذه الصِّفة يتفرّس الوجوه والتصرفات، ويستطيع أن يحكم على الصِّغار ومستقبلهم، ويكشف الفروق الفرديَّة بينهم، ويراعيها عند التَّربية والتَّوجية.

سادساً: العدالـة، فالرَّسول ﷺ كان عادلاً بين أحفاده، فلا يميِّز الحسن عن الحسين، والعكس، وأنس بن مالك وأبناء جعفر؛ وإلا دبَّت بين المتربِّين نار الحسد. ولكن فعله معهم كان عادلاً في المعانقة، والتقبيل، والضمِّ، والمسح على الرؤوس والوجوه، والدُّعاء، والعدل في العطية، فعن النُّعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: ((أنَّ أباه أتى به رسول الله فقال: إنِّي نحلت ابني هذا غلاما فقال: أكل ولدك نحلت مثله؟ قال: لا، قال

([313]) سبق تخريجه ص (٨٠).

([314]) سبق تخريجه ص (٧٣).

([315]) سبق تخريجه ص (٢٤).

([316]) عبد الحميد أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، ص ٢٢٦.

([317]) سبق تخريجه ص (٩٦).

([318]) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ، بالصبيان والعيال وتواضعه وفضله، ج٤، ص ١٨٠٨، ح رقم ٢٣١٦، قال حدثنا زهير بن حرب، ومحمد بن عبد الله بن نمير (واللفظ لزهير)، قالا حدثنا إسماعيل (وهو ابن عليه) عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك وذكره.

وأخرجه: البخاري، الأدب المفرد، كتاب حسن الخلق، باب رقم العيال، ص ١٣٧، ح رقم ٣٧٦من طريق أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك.

([319]) سبق تخريجه ص (٧٣).

: فأرجعه))(٣٢٠)، وكذلك العدل في الإجازه بين الغلمان، قال سمرة بن جندب: ((أيمت أمي وقدمت المدينة، فخطبها الناس، فقالت: لا أتزوّج إلا برجل يكفل لي هذا اليتيم، فتزوجها رجل من الأنصار، قال: فكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام، فيلحق من أدرك منهم، قال: فعرضت عاما، فألحق غلاما وردّني، فقلت: يا رسول الله، لقد ألحَقته ورَدَدْتني، ولو صارعته لصرعته، قال: فصارعْه، فصارَعته فصرعته فألحقني))(٣٢١). ((وتفيد الأحاديث النبوية الشريفة برواياتهَا المختلفة، والتي خاطب بها الأطفال، أنَّ مثل هذا التَّفضيل بين الأولاد جور بعيد عن العدل الذي أمر الله به المؤمنين، ومن شأنه أن يفضي إلى العقوق وتباغض الأولاد وتقاتلهم؛ ولهذا فإنَّ التسوية بين الأولاد واجبة، وإنَّ التفاضل بينهم بغير سبب شرعي حرام، أمَّا إذا كان للتفضيل سبب شرعيّ فإنَّه ليس هناك ما يمنع من ذلك، ومن الأسباب المقبولة شرعاً لهذا التفضيل: أن يكون أحد الأولاد مريضاً مرضاً مزمناً، لأنَّ إخوته لا يغضبهم ذلك التفضيل، وكذلك يجوز التفاضل إذا كان أحد الأخوة صغيراً يحتاج إلى تعليم))(٣٢٢).

سابعاً: العلم. يستلزم من المربِّي الفهم لمراحل النموِّ، ومناشط الطفل، وما يميل إليه في عمره، وكيفيَّة التعامل الأمثل مع المراحل وحاجاتها، فقد تعامل رسول الله رسول الله ﷺ مع جميع أعمار الطفولة بما يتناسب مع تفكيرهم وميولهم، ((والمربِّي القدير يهتمُّ قبل كلّ شيء بالتَّعرف على الصِّفات والقدرات العقليَّة والنفسيَّة والوجدانيَّة والجسميَّة للطفل؛ حتى يأخذ بيده لتنمية قدراته في تلك المرحلة، وتكوين عقليَّته، وبناء نفسيَّته ووجدانه؛ من أجل بذر أسمى القيم، وتفجيراً لكلّ الطاقات، وفي حدود خصوصيَّة الطفل وإمكاناته الذهنيَّة والنفسيَّة والبدنيَّة، بحيث لا يكلفه ما لا يطيق، ولا يترك طاقاته تضيع هدراً)) (٣٢٣). فالطفل يحبُّ اللعب ويتعلم منه، والنَّبي المربِّي لبَّى هذا الدَّافع عنده؛ لعلمه بحاجة الطفولة، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: ((كان النَّبيُّ ﷺ يدلع لسانه للحسين، فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش إليه، فقال له عيينة بن بدر: ألا أراه يصنع هذا بهذا فوالله إنَّه ليكون لي الولد قد خرج وجهه وما قبَّلته قط، فقال النبي ﷺ: من لا يرحم لا يرحم))(٣٢٤)، وعن محمود بن الربيع قال: ((عقلت من النبي ﷺ مجَّة مجَّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو))(٣٢٥)، ويعلم كذلك حرص الطفل على معرفة الأسرار، وحبِّ كتمانها عن غيره إذا استؤمن عليها، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: ((أسرَّ إليَّ النبي ﷺ سرًّا فما أخبرت به أحدا بعده، ولقد سألتني عنه أمّ

---

(٣) سبق تخريجه، ص (٣٤).

(٣٢١) أ- التخريج:

أخرجه الحاكم، المستدرك، كتاب البيوع، ج٢،ص٦٩،ح رقم٢٣٥٦، قال حدثنا أبو الحسين محمد بن الحسن ثنا علي بن عبد العزيز ثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي ثنا هشيم ثنا عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن أبيه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه وذكره.

وأخرجه الطبراني، المعجم الكبير،ج٧،ص١٧٧،ح رقم٦٧٤٩.

وأخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب السير،باب من لا يجب عليه الجهاد،ج٩،ص٢٢،ح رقم ١٧٥٨٨، وكلاهما من طريق إبراهيم بن عبد الله الهروي عن هشيم عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن أبيه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه

ب- الحكم على الحديث:

قال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ج٢،ص٦٩،فالحديث اسناده صحيح.

(٣٢٢) أنظر عبد الجليل عيسى، التمييز بين الأولاد في العطية، مجلة الوعي الإسلامي، السنة الثانية عشرة، العدد (١٣٦)، نيسان، ١٩٧٦، ص ص ٢٨- ٣٤.

(٣٢٣) عبد الحميد أبو سليمان، أزمة الإرادة والوجدان المسلم، ص ٢٢٢.

(٣٢٤) سبق تخريجه، ص٣٧.

(٣٢٥) سبق تخريجه، ص٥٧.

سليم فما أخبرتها به)) [٣٢٦].

---

(٣٢٦) سبق تخريجه، ص٥٥١.

ثالثاً: الخاتمة والنتائج

الحمد لله حمد الشَّاكرين وحمد الذاكرين، والعاقبة للمتّقين، الذي بفضله تتفتَّق الأفهام، وبعلمه وقدرته تستقرُّ الأكوان، وبتوفيقه وتقديره يكتمل البنيان، فلولاه لما سار سائر ولا كان. وبعد دراسة الخطاب النبوي لغيرالبالغين توصَّلت الدراسة إلى نتائج أهمَّها ما يلي:

١- أنَّ الخطاب النبويّ دقيق، ويناسب جميع المراحل العمريَّة، وخصوصا مرحلة الطفولة بشقّيها، ما قبل التمييز(المبكرة)، والتمييز(المتأخرة)، وذلك من خلال سبر الأحاديث وتقسيمها، واستبانة التخصُّصيَّة في الخطاب لكل مرحلة على حده، من خلال تباين سماتها، والخطاب النبويّ لها.

٢-الدعوة إلى مراجعة خطاب الطفولة اليوم، والذي بني على التَّعنيف، والاستهزاء، والسّخرية، والقهر للأطفال، ليتَّفق مع المنهج النبويِّ في الخطاب مع الصِّغار؛ حتى نخرج جيلا كما أخرجت التربية النبوية الأولى مبنيَّة على الحبِّ، والعطف، والشفقة، ومواقف اللعب المختلفة.

٣- بيَّنت الدِّراسة أنَّ الخطاب النبوي للأطفال، ومن خلال التجربة، قادركتشريع على العطاء والإنتاج لإخراج جيل جديد كما خرج جيل الصَّحابة الأوَّل. كما قدَّمت الدِّراسة النموذج العمليّ والنظريّ للمربِّين كما أدَّاه المربِّي الأوَّل ﷺ، وكيف يمكن أن يكون الأداء سليما، ومتقناً، ويناسب المراحل، وينمِّي جوانب الشخصيَّة المتكاملة، سواء أكانت عقليَّة، أو انفعاليَّة، أو اجتماعيَّة.

رابعًا: التَّوصيات

بناء على نتائج الدِّراسة، تمَّ التوصُّل إلى جملة من التوصيات على مستوى الأفراد أو المؤسَّسات:

١. زيادة التَّركيز على دراسة المنهج النبويِّ التربويِّ في الارتقاء بالطفولة، وكيفيَّة الاهتمام بها، ورعايتها، وبيان الخطاب المناسب لها.

٢. عرض النَّظريات التربويَّة المعاصرة وخاصَّة الغربية منها على المنهج النبوي، ودراسة البيئة والمنهاج والمعلم؛ لبيان ما يمكن تطبيقه على واقعنا، بما لا يتعارض مع مبادئ الإسلام الحنيف.

٣. دعوة المؤسسات والجامعات ووزارات التَّوجيه (الأوقاف، التربية، التعليم العالي، والإعلام) الى القيام بأبحاث ودراسات للطفولة، وخصوصا المنهج النبويّ في التربية، وإقامة المؤتمرات، والندوات، وورش العمل لذلك، وتشكيل فرق وطنيَّة للدراسة والبحث.

٤. زيادة الاعتناء في التخصصيَّة للطفولة، ودراستها وفق التَّربية النبويَّة، وتقسيمها إلى خطاب مباشر للطفل، وغير مباشر للوالدين، وتصنيف مؤلفات تخدم فئة المراهقين والشباب والشيخوخة مكملة بقية المراحل، كما بدأت هذه بتغطية مرحلة ما قبل التمييز (الطفولة المبكِّرة)، ومرحلة التَّمييز (الطفولة المتأخِّرة).

٥. دعوة الآباء والمربِّين إلى تغيير الخطاب السَّائد مع الطفولة، باعتبارهم المسؤولين المباشرين عن الأطفال وتربيتهم ونمائهم الجسديّ والعقليّ والوجدانيّ، بما يتوافق مع المنهج النبويّ.

وآخر دعونا أن الحمد لله ربِّ العالمين